

عثمان بن عفان رضي الله عنه



إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَّوْهُ وَخُلِقَ مِنْهَا رِجَالٌ كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إنه الرجل الذي إذا جاءت سيرته وجدنا بين ثنايا سطورها ريح الحياء والتواضع والجلود والكرم والخشية... ولد بعد عام الفيل بست سنين على الصحيح، وكان ربعة حسن الوجه رقيق البشرة عظيم اللحية بعيد ما بين المنكبين^(١).

لما قالوا (لعلي): حدثنا عن عثمان. قال: ذاك امرؤ يدعى في الملأ الأعلى ذا النورين.

كان رضي الله عنه في أيام الجاهلية من أفضل الناس في قومه فهو عريض الجاه ثريًا

(١) «الإصابة» للمحافظ ابن حجر (٤/ ٣٧٧).

متواضعًا شديد الحياء عذب الكلمات فكان قومه يحبونه أشد الحب ويوقرونه.
لم يسجد في الجاهلية لصنم قط ولم يقترب فاحشة قط ولم يظلم إنسانًا قط.
وكان كغيره من أهل المروءة في أشد الشوق ليد حانية تأخذ بنواصي العباد من
تلك الجاهلية التي عمت البلاد إلى شاطئ النجاة.
وما هي إلا فترة يسيرة حتى بعث الحبيب ﷺ وكان عثمان رضي الله عنه من السابقين
الذين أسلموا قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم.
ولإسلام عثمان قصة ما زال يرويها الرواة.

ذلك أنه حين بلغه في الجاهلية أن محمد بن عبد الله زوج ابنته رقية من ابن عمها
عتبة بن أبي لهب، ندم أشد الندم لأنه لم يسبق إليها، ولم يحظ بخلقها الرفيع وبيتها
العريق، فدخل على أهله مهمومًا.

فوجد عندهم خالته (سعدى بنت كرز) وكانت هذه امرأة حازمة، عاقلة،
طاعنة في السن - طاعنة في السن: متقدمة في السن - فسرت عنه^(١).

وبشرته بظهور نبي يبطل عبادة الأوثان، ويدعو إلى عبادة الواحد الديان، ورغبته
في دين ذلك النبي وبشرته بأنه سينال عنده ما يبتغيه.

قال عثمان: فانطلقت وأنا أفكر فيما قالت خالتي، فلقيت أبا بكر، وحدثته بما
أخبرتني به، فقال: والله لقد صدقت خالتك، فيما أخبرتك، وبشرك بالخير يا
عثمان، وإنك لرجل عاقل حازم ما يخفى عليك الحق، ولا يشتبه عندك مع الباطل..
ثم قال لي: ما هذه الأصنام التي يعبدونها قومنا؟!... أليست من حجارة صم لا تسمع
ولا تبصر؟. فقلت: بلى. فقال: وإن ما قالت خالتك - يا عثمان - قد تحقق، فلقد
أرسل الله رسوله المرتقب، وبعثه إلى الناس كافة بدين الهدى والحق. فقلت: ومن
هو؟! فقال: إنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. فقال: الصادق الأمين؟ فقال أبو

(١) سرت عنه: كشفت عنه الهم.

بكر: نعم، إنه هو. فقلت: فهل لك أن تصحبني إليه؟ فقال: نعم، ومضينا إلى النبي ﷺ. فلما رأي قال: أجب يا عثمان داعي الله، فإني رسول الله إليكم خاصة، وإلى خلق الله عامة.

ثم شهدت أن لا إله إلا الله. وأن محمدًا عبده ورسوله.

لم يؤمن بالرسول - عليه الصلاة والسلام - أحد من قومه بني (هاشم) حتى ذلك اليوم، غير أنه لم يكن فيهم أحد يناصبه العداء غير عمه (أبي لهب).

فقد كان هو وزوجه (أم جميل) من أشد قريش قسوة عليه وأعنفهم إيذاء له، وتنكيلاً به، فأنزل الله فيه وفي امرأته: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ ١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ ٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ ٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ ٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [التَّوْبَةُ: ٥-١٠]

فازداد أبو لهب ضغينة على الرسول صلوات الله وسلامه عليه، واشتد حقه وحقد زوجته أم جميل عليه، وعلى المسلمين معه، فأمر ابنهما (عتبة) بأن يطلق زوجته رقية بنت محمد عليه الصلاة والسلام فطلقها نكاحاً^(١) بأبيها.

ما كاد عثمان بن عفان - رضوان الله عليه - يسمع بخبر طلاق رقية حتى استطار فرحاً، وبادر فخطبها من رسول الله ﷺ فزوجها الرسول الكريم ﷺ منه.

وزفتها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، وقد كان عثمان من أبهى قريش طلعة، وكانت هي تضاهيه قسامة وصباحة، أي تشبهه في حسن تقاسيم الوجه وملامحه، فكان يقال لها حين زفت إليه: أحسن زوجين رأهما إنسان رقية، وزوجها عثمان^(٢).

وعن عبد الرحمن بن عثمان القرشي: أن رسول الله ﷺ دخل على ابنته وهي تغسل رأس عثمان: فقال: «يا بنية أحسنني إلى أبي عبد الله، فإنه أشبه أصحابي بي خلقاً»^(٣).

(١) نكاحية: إغاطة له وقهرًا.

(٢) «صورة من حياة الصحابة» بتصرف (ص ٥٥٨ - ٥٦١).

(٣) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات «المجمع» (١٤٥٠٠).

عباد الله: وعلى الرغم من مكانة عثمان بن عفان رضي الله عنه بين قومه ومحبتهم له إلا أنه ما إن أعلن إسلامه واستعلى بإيمانه حتى سلطوا عليه الأذى فلما يشؤا من عودته إلى الشكر وارتداده عن دين محمد ﷺ أطلقوا سراحه فهاجر إلى الحبشة ومعه زوجته (رقية) رضي الله عنها وهناك اشتد الحنين إلى رسول الله ﷺ فعاد عثمان وزوجه رضي الله عنهما مرة أخرى إلى الحبيب ﷺ إلى أن أذن الله لنبيه ﷺ وأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة، فكان عثمان وزوجه مع المهاجرين. وبذلك يكون رضي الله عنه قد هاجر المجرتين.

أما جهاده في سبيل الله وتسميته بذى النورين فلقد شهد عثمان رضي الله عنه المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ما عدا غزوة بدر فإن النبي ﷺ لما خرج إلى بدر خلفه على ابنته رقية يمرضها - فقد كانت مريضة ولم يكن معها أحد - ولما عاد الحبيب ﷺ من الغزوة علم أن ابنته رقية قد لحقت بجوار ربها فحزن حزناً شديداً، وواسى عثمان رضي الله عنه فضرب له بسهمه وأجره، فكان كمن شهد بدرًا، ثم زوجه من ابنته الثانية (أم كلثوم) وقال: «لو كان عندي ثالثة لزوجتها عثمان». وسمي ذا النورين لجمعه بين بنتي رسول الله ﷺ ^(١).

قال العلماء: ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره، ولذلك سمي ذا النورين. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن.

أما موقفه الخالد في تجهيز جيش العسرة (غزوة تبوك) فقد جاءت هذه الغزوة، والناس في عسرة شديدة، وحين طابت الثمار وأحبت الظلال، والناس يحبون المقام ويكرهون الخروج.

وحض رسول الله ﷺ المسلمين على الجهاد ورغبهم فيه وأمرهم بالصدقة، فحملوا صدقات كثيرة، وكان أبو بكر رضي الله عنه أول من حمل بهاله كله، أربعة آلاف درهم.

فقال رسول الله ﷺ: «هل أبقيت لأهلك شيئاً؟» فقال: الله ورسوله، ثم جاء

عمر بن بنصف ماله، وحمل العباس بن عبد المطلب، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه إلى النبي ﷺ مالا، وحمل عبد الرحمن بن عوف إليه مائتي أوقية، وحمل سعد بن عبادة رضي الله عنه إليه مالا، وكذلك محمد بن مسلمة رضي الله عنه وتصدق عاصم بن عدي رضي الله عنه بتسعين وسقا من التمر، والنساء يُعَنَّ بكل ما قدرن عليه. قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والذل والخسران لأعداء الدين من الكفرة والمشركين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد،

ما زال حديثنا حول تجهيز جيش العسرة في غزوة (تبوك) قالت أم سنان الأسدية رضي الله عنها لقد رأيت ثوبا مبسوطا بين يدي النبي ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها فيه مَسَك - أي أسور - وخلائيل، ومعاضد وخلائل - وهي كالأسورة في اليد - وأقرطة - وهي ما تعلق في شحمة الأذن - وخواتيم، وقد ملي، مما بعث به النساء يُعَنَّ به المسلمين في جهازهم.

ولله در أبي غنبل يأتي بصاع من تمر ويستحي، قال: بت ليلتي أجر بالجرير - يعني يستقي الماء بالحبل - على صاعين، والله! ما كان عندي من شيء غيره، فأتيته بأحدهما، وتركته الآخر لأهلي.

وعن عكرمة رضي الله عنه قال: حث رسول الله ﷺ على الصدقة أي في غزوة تبوك، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقال يا رسول الله: مالي ثمانية آلاف، جئتك بنصفها، وأمسكت نصفها، فقال: «بارك الله فيما أمسكت وفيما أعطيت».

أما الحديث عن العسرة وعثمانها المعطاء، فقد روى عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه

(١١٠) **الحطاب المبرور في فضائل الصحابة** — عثمان بن عفان رضي الله عنه

أن عثمان بن عفان جاء إلى النبي ﷺ بألف دينار في كفه حين جهز جيش العسرة، فثرها في حجره، فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره، ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم، ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم»^(١).

ولما حُصرَ في داره قام فأشرف عليهم فوق داره، قال: «أذكركم بالله، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في جيش العسرة: «من ينفق نفقة متقبلة» والناس مجاهدون، معسرون، فجهزت ذلك الجيش؟ قالوا: نعم...»^(٢)

وما جاء في رواية الأحنف بن قيس من قول عثمان: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم، فقال: «من يجهز هؤلاء غفر الله له» يعني جيش العسرة، فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقلاً ولا خطاً؟ قالوا: اللهم نعم، قال: اللهم اشهد»^(٣)

ما بكاد عثمان يسمع نداء رسول الله ﷺ: «من يجهز هؤلاء، ويغفر الله له؟» حتى سارع إلى مغفرة من الله ورضوان. وهكذا وجدت العسرة الضاغطة عثماناً المعطاء!! وقام ﷺ بتجهيز الجيش كله حتى لم يتركه بحاجة إلى خطاب أو عقاب...!! يقول ابن شهاب الزهري: قدم عثمان لجيش العسرة في غزوة تبوك تسعمائة وأربعين بعيراً، وستين فرساً أتم بها الألف!!

ويقول حذيفة: جاء عثمان إلى رسول الله ﷺ، في جيش العسرة بعشرة آلاف دينار صلبها بين يديه، فجعل الرسول ﷺ يقلبها بيده، ويقول: «غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت، وما هو كائن إلى يوم القيامة».

ويقول عبد الرحمن بن عوف: شهدت رسول ﷺ وقد جاءه عثمان بن عفان في جيش العسرة بسبعمائة أوقية من الذهب.

(١) أخرجه الترمذي، وأحمد، وابن أبي عاصم في «السنة».

(٢) جزء من حديث صحيح لغيره: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة»، وابن عساكر في «تاريخه».

(٣) جزء من خبر حسن لغيره: أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤٨٦/٧)، وابن حبان (٦٨٨١).

ألم أقل لكم: إنه يبدو وكأنه الممول الوحيد للأمة الجديدة، والدين الجديد؟؟^(١)
ولما كفى الله المؤمنين القتال برجوع الروم، ورجع الجيش بكل عتاده الذي أمده به عثمان، ما استرجع عثمان من ذلك شيئاً، وما استرد منها شيئاً ولا خطأماً.

رضي الله عن عثمان المهاجر إلى ربه الذي يخرج من ماله ومن دنياه العريضة كلها، ويسافر إلى الله في حياء رجل تستحي منه الملائكة. «نعم المال الصالح للرجل الصالح»، ترى كم أظل عثمان من رءوس رجال، وكم له عند الله من ظل بل ظلال ظليلة.

قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقات ظل فسطاط - خيمة - في سبيل الله عز وجل، أو منحة خادم في سبيل الله، أو طروقة فحل في سبيل الله»^(٢).

وما بذله عثمان رضي الله عنه في سبيل الله حفر بئر رومة، فلما كان المسلمون لا يجدون الماء العذب الذي هم في أشد الحاجة إليه، قام النبي ﷺ يعرض على أصحابه تلك الصفقة الرباحة، فقال: «من حفر رومة فله الجنة...»^(٣)

قال العافض: ولعل العين كانت تجري إلى بئر، فوسعها وطواها، فنسب حفرها إليه^(٤)

فقام عثمان رضي الله عنه السَّابِق إلى كل خير فحفرها، ففاز بثواب كل من شرب شربة ماء أو توضأ من هذا الماء.

عباد الله: وما كان البذل الذي يبذله عثمان رضي الله عنه ليقف أبداً عند تجهيز جيش العسرة أو حفر بئر رومة، بل لقد كان دوماً وأبداً مواسياً لكل مسلم في كبرته ومعينه في محتته، ومعيناً له في فقره وحاجته.

(١) «خلفاء الرسول ﷺ خالد محمد خالد» (٢٤١) دار الجبل.

(٢) رواه أحمد، والترمذي عن أبي أمامة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٠٩). «ترطيب الأفواه» د/ سيد حسين (١٨٨ - ١٩١) بتصرف.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٧٨) معلقاً، وهو صحيح لشواهده.

(٤) «الفتح» (٤٠٨/٥).

(١١٢) الخطب المنيرة في فضائل الصحابة — عثمان بن عفان رضي الله عنه

يمضي - رضي الله عنه - مع نفسه موثقاً لا يخلفه طوال حياته: هو أن يعتق كل جمعة عبداً، ويحرر رقبة، يشتري العبد من سيده بأي ثمن، ثم يهبه حريته مبتغياً وجه ربه الأعلى^(١).

وها هي البشري بالشهادة وبالجنة يزفها إليه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»^(٢).

وعن أبي موسى رضي الله عنه: قال: إن النبي ﷺ دخل حائطاً وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن فقال: «أذن له وبشره بالجنة»، فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن فقال له: «أذن له وبشره بالجنة» فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنيهة ثم قال: «أذن له وبشره بالجنة على بلوي ستصيه» فإذا عثمان ابن عفان^(٣).

عباد الله: ها هو عثمان رضي الله عنه استحيا من الله، فاستحيت منه الملائكة والنبي ﷺ، وبها لها من منقبة عظيمة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها.

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذه أو ساقه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه، فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان، فجلست وسويت ثيابك، فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»^(٤).

(١) «مسلم بشرح النووي» (٣٤/١٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤١٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٩٥)، ومسلم (٢٤٠٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٠١) عن عائشة.

اللهم ألحقنا بالصالحين، واجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين، واجعلنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم وحد صفوف المسلمين واجمع كلمتهم وكن لهم عونًا ومددًا يا جواد يا كريم، اللهم عليك بالصليبين وسائر المشركين اللهم فرق جمعهم وشتت شملهم واجعلهم غنيمة للإسلام والمسلمين، وأقم الصلاة.



عثمان بن عفان رضي الله عنه



إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخَيْرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله : حديثنا اليوم بإذن الله في الخطبة الثانية عن الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه.

عباد الله: ما زال الكلام يدور حول حياء عثمان رضي الله عنه.

قالت عائشة: يا رسول الله مالي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان، قال رسول الله ﷺ: «إن عثمان رجل حيي، وإنني خشيتُ إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلي في حاجته» - أي يستحي فيخرج من غير أن يطلب حاجته

التي جاء من أجلها^(١)

قال عثمان رضي الله عنه: ما من عامل يعمل عملاً إلا كساه الله رداء عمله.

وقال يحيى بن معاذ: من استحيى من الله مطيعاً استحيى الله منه وهو مذهب.

قال المناوي: مقام عثمان مقام الحياء، والحياء فرع يتولد من إجلال من يشاهده ويعظم قدره، مع نقص يجده في النفس، فكأنه غلب عليه إجلال الحق تعالى، ورأى نفسه بعين النقص والتقصير، وهما من جليل خصال العباد المقربين، فعلت رتبة عثمان كذلك، فاستحيت منه خلاصة الله من خلقه، كما أن من أحب الله أحب أوليائه، ومن خاف الله خاف منه كل شيء^(٢). والجزء من جنس العمل.

وقال عليه السلام: «عثمان أحب أمتي»^(٣).

يعني أكثرها حياءً، والحياء منشأ الآداب، قيل: لم يمض يمينه على فرجه منذ بايع النبي صلى الله عليه وسلم.

فلا والله ما في العيش خيرٌ. ولا الدنيا إذا ذهب الحياء يعيش المرء ما استحيا بخير. ويبقى العود ما بقي اللحاء

عباد الله؛ ومن فضائل عثمان رضي الله عنه أنه يقرأ القرآن كله في ركعة واحدة.

قال عبد الرحمن بن عثمان التيمي - رحمه الله -: قلت: لأغلبن الليلة على المقام، فسبقت إليه، فبينما أنا قائم أصلي إذ وضع رجل يديه على ظهري، فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وهو خليفة فتنحيت عنه، فقام فما برح قائماً حتى فرغ من القرآن في ركعة لم يزد عليها.

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٠٠).

(٢) «فيض القدير» للمناوي (٣٠٢/٤).

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية»، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٧٢).

فلما انصرفت قلت: يا أمير المؤمنين، إنها صليت ركعة؟.

قال: أجل هي وتري، أي ركعة الوتر^(١).

وعن ابن سيرين قال: قالت امرأة عثمان حين قتل: لقد قتلتموه، وإنه ليحيي الليل كله بالقرآن في ركعة^(٢).

قال العافظ ابن كثير: وقد روي من غير وجه، أنه صلى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود، أيام الحج، وقد كان هذا دأبه رضي الله عنه ولهذا روي عن ابن عمر أنه قال في قوله تعالى: ﴿أَمِنْ هُوَ فَنَسِيْتُ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

قال: هو عثمان بن عفان.

وقال فيه حسان بن ثابت رضي الله عنه:

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُتُوٍّ الشُّجُودَ بِهِ . . يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسِيحًا وَقُرْآنًا

قال النووي في التبيين، (٥٥): فمن الذين كانوا يَخْتُمُونَ الختمة في اليوم واللييلة: عثمان بن عفان رضي الله عنه وتميم الداري، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والشافعي وآخرون.

وكان رضي الله عنه لا يوقظ أحداً من أهله إذا قام من الليل ليعينه على وضوئه، إلا أن يجده يقطّأنا، وكان يصوم الدهر، وكان يعاتب، فيقال: لو أيقظت بعض الخدم؟ فيقول: لا! الليل لهم يستريحون فيه^(٣).

وعن الحسن، قال: قال عثمان: لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا، وإني

(١) صحيح أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٢٧٦).

(٢) «الزهد» (ص ١٢٧) لأحمد بن حنبل.

(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير (٣٠٧/٥).

الخطيب المبرور في فضائل الصحابة
عثمان بن عفان رضي الله عنه (١١٧)
لأكراه أن يأتي عليَّ يوم لا أنظر في المصحف» وما مات عثمان حتى خُرق مصحفه
من كثرة ما يديم النظر فيه^(١).

عباد الله: ومن مناقب عثمان رضي الله عنه التجارة الرباحة مع الله، فعن ابن عباس
رضي الله عنه قال: قحط الناس في زمان أبي بكر، فقال الخليفة لهم: إن شاء الله لا تمسون
غداً حتى يأتكم فرج الله، فلما كان صباح الغد، قدمت قافلة لعثمان، فعدا عليه
التجار، فخرج إليهم وعليه ملاءة قد خالف بين طرفيها على عاتقه، وسألوه أن
يبيعهم قافلته، فسألهم كم تربحوني قالوا: العشرة اثني عشر، قال: قد زادني، قالوا:
فالعشرة خمسة عشر، قال: قد زادني، قالوا: من الذي زادك، ونحن تجار المدينة قال:
إنه الله، زادني بكل درهم عشراً، فهل لديكم أنتم مزيد؟ فانصرف التجار عنه، وهو
ينادي: اللهم إني وهبتها فقراء المدينة بلا ثمن، وبلا حساب^(٢).

أما خلافته الراشدة فإنه لما آلت الخلافة إلى عثمان بن عفان رضوان الله عليه،
فتح الله على يديه أرمينية والقوقاز، ونصر المسلمين وسودهم على خراسان وكرمان
وسجستان، وقبرص وطرف غير قليل من أفريقية.

ولقي الناس في عهده من الثراء ما لم يحظ به شعب على ظهر الأرض.

حدث الحسن البصري - رحمه الله - عما نعم به الناس في عهد ذي النورين من
الرخاء ورفاهية العيش وما غمروا به من الهناء والطمأنينة، وقال: رأيت منادي
عثمان بن عفان رضي الله عنه ينادي قائلاً: أيها الناس اغدوا على أعطياتكم^(٣)، فكان الناس
يغدون عليها، ويأخذونها وافيةً.

أيها الناس أقبلوا على أرزاقكم. فكانوا يقبلون عليها، فيعطونها غزيرة وفيرة.
ولقد سمعته - والله - أذنأي وهو يقول: اغدوا على كسوتكم. فكانوا يأخذون

(١) «البداءة والنهاية» (٣٠٧/٥) وقتل رضي الله عنه والمصحف في حجره.

(٢) «خلفاء الرسول» لخالد محمد خالد (ص ٢٤٦).

(٣) اغدوا على أعطياتكم: أي هلموا إلى العطايا التي تستحقونها.

الحلل السابعة^(١)، وكان يقول: هلموا على السمن والعسل أيضًا.

ولا غدو فقد كانت الأرزاق في عهد عثمان رضي الله عنه دارة^(٢)، وكان الخير كثيرًا. وذات البين سعيدة^(٣)، ولم يكن على ظهر الأرض مؤمن يخاف مؤمنا، وإنما كان المسلم يألف المسلم، ويواده، وينصره^(٤).

وفي عهد عثمان رضي الله عنه جمع القرآن، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة على عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش فإننا نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق^(٥).

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



(١) الحلل السابعة: الحلل الطويلة الواسعة

(٢) دارة: أي مستمرة

(٣) ذات البين: الأحوال بين الناس

(٤) «صور من حياة الصحابة» (ص ٥٦٨: ٥٦٩).

(٥) أخرجه البخاري (٤٩٨٧).

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين والعاقبة للمتقين، والمذلة والخسران لأعداء الدين من المشركين والمنافقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحابه أجمعين.

ومن مناقب عثمان رضي الله عنه كثرة بكائه خوفًا من الله جل وعلا - فكان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته، فقليل له: تذكر الجنة والنار، فلا تبكي، وتذكر القبر فتبكي؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر، وإن لم ينج منه فما بعده أشد».

قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه»^(١).

وعن عبد الله بن الرومي، قال: بلغني أن عثمان رضي الله عنه قال: لو أني بين الجنة والنار، ولا أدري إلى أيتهما يؤمر بي، لا اخترت أن أكون رماذًا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

وأما عدل عثمان رضي الله عنه فما هي صفحة ناصعة البياض من عدله رضي الله عنه.

عثمان الرحيم الذي تشع الرحمة في حياته، وتكون نبراسًا لكل تصرفاته، يغضب على خادم له يومًا، فيفرك أذنه حتى يوجعه، ثم سرعان ما يدعو خادمه ويأمره أن يقتص منه، فيفرك أذنه، ويأبى الخادم، ويأمره في حزم فيطيع، اشدد يا غلام، فإن قصاص الدنيا أرحم من قصاص الآخرة.

ومن عظام الأعمال وكبارها في خلافته ظهور حدود الله تعالى.

فهذا الوليد بن عقبة من أقرب الناس إليه، إنه أخوه لأمه، ومع ذلك لم تأخذه شفقة عليه ولا رحمة.

(١) رواه الترمذي، وابن ماجه، وحسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٤٦١).

(١٢٠) **الحظ المميز** يزيد في فضائل الصحابة **عثمان بن عفان** رضي الله عنه

قال **الحافظ في الفتح**، (٥٦/٧)؛ إنها آخر إقامة الحد عليه ليكشف عن حال من شهد عليه بذلك، فلما وضع له الأمر أمر بإقامة الحد عليه.

قال **حنين بن المنذر**: شهدت عثمان بن عفان، وأتى بالوليد قد صلى الصبح ركعتين، ثم قال: أزيدكم؟

فشهد عليه رجلان؟ أحدهما حمران، أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه رآه يتقياً، فقال عثمان: إنه لم يتقياً حتى شربها، فقال: يا علي قم فاجلده، فقال علي: قم يا حسن فاجلده، فقال الحسن: ول حارّها من تولى قارّها ^(١).

فكانه وجد عليه، فقال: يا عبد الله بن جعفر، قم فاجلده، فجلده - علي يعد - حتى بلغ أربعين، فقال: أمسك ثم قال: جلد النبي ﷺ أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وهذا أحب إلي وفي رواية: وكل سنة.

عباد الله: عجباً ثم عجباً لمن ينقمون على ذي النورين رضي الله عنه!، هل ينقمون على عدله، أم على جوده، أم على رحمته، أم على إيمانه أم على أنه من العشرة المبشرين بالجنة؟!

قال **الحسن البصري رحمه الله**: أدركت عثمان على ما نقموا عليه، قلما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيراً، فيقال لهم: يا معشر المسلمين، اغدوا على أعطيائكم، فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم: اغدوا على السمن والعسل.

الأعطيات جارية، والأرزاق دائرة، والعدو منفي، وذات البين حسن، والخير كثير، وما مؤمن يخاف مؤمناً، من لقيه فهو أخوه من كان، ألفته، ونصيحته، ومودته، قد عهد إليهم أنها ستكون أثرة، فإذا كانت أن تصبروا، ولو أنهم صبروا حين رأوها لووسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق والخير الكثير، قالوا: لا والله ما نصابرها فوالله ما رُدُّوا ولا سلموا.

(١) أي ول العقوبة الضرب من توليه العمل والنفع.

الخطبة النبوية في فضائل الصحابة عثمان بن عفان رضي الله عنه (١٢١)

والأخرى كان السيف مغمداً على أهل الإسلام، ما على الأرض مؤمن يخاف أن يسلب مؤمن عليه سيفاً حتى سلّوه على أنفسهم، فوالله ما زال مسلولاً إلى يوم الناس هذا.

وأيم الله، إني لأراه سيفاً مسلولاً إلى يوم القيامة^(١).

يقول عروة بن الزبير رحمه الله: أدركت زمن عثمان رضي الله عنه وما من نفس مسلمة إلا ولها في مال الله حق^(٢).

ومن شمائل عثمان رضي الله عنه: لين جانبه، ورأفة قلبه، وإحسانه إلى الرعية، ولينه معهم، وخروج أهل الزور والبهتان عليه، وقتله مظلوماً.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: لقد عبتم على عثمان أشياء، لو أن عمر فعلها ما عبتموها^(٣).

وقال الحسن البصري - رحمه الله -: عمل أمير المؤمنين عثمان ثنتي عشرة سنة لا ينكرون من أمارته شيئاً، حتى جاء فسقة فداهن والله في أمره أهل المدينة^(٤).

ومن المواقف التي تبدو فيها شفقتة بالرعية جلياً، ما رواه موسى بن طلحة يقول: سمعت عثمان بن عفان، وهو على المنبر، والمؤذن يقيم الصلاة، وهو يستخير الناس عن أخبارهم وأسعارهم، وعن مرضاهم^(٥).

هذا عثمان فأين مثل عثمان رضي الله عنه؟!.

ولله در القائل:

ألم تر أن السيف ينقص قدره . . إذا قيل أن السيف أمضى من العصا

(١) إسناده حسن: أخرجه ابن عساكر، وقال الهيثمي في «المجمع» (٩٤ / ٩): إسناده حسن.

(٢) إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبة.

(٣) إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه».

(٤) إسناده صحيح: أخرجه البخاري في «التاريخ الصغير».

(٥) إسناده صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده».

عباد الله: ونستعرض جملة من الافتراءات والرد عليها، ومن ذلك قولهم: أنه -أي عثمان- لم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان مع ظهور القصاص ووجوبه:

والجواب: أن عثمان رضي الله عنه دفع دية من ماله بعد أن شاور الصحابة؛ لأنه ولي دم القاتل الذي لم يكن له ولي، وفقاً لقاعدة: السلطان ولي من لا ولي له^(١).

ولقد رد ابن العربي ردًا شافياً وكافياً في «العواصم من القواصم»: أما تلك القصة سنداً ومتناً. ففيها اضطراب، وفي الرواية الصحيحة: أن عثمان رضي الله عنه تشاور مع المهاجرين والأنصار، ولم يقتل مسلماً بكافر، وأعطى الدية بدلاً من ذلك فأى مخالفة في ذلك؟^(٢).

ومما قاله المفترون: إن عثمان رضي الله عنه ولي أقاربه - يعني الولاية، ومن ولاهم بزعمهم: معاوية، وعبد الله بن عامر بن كريز، ومروان، والوليد بن عقبة، وأعطى مروان خمس إفريقية.

قال ابن العربي رحمه الله: هذا كله باطل سنداً ومتناً، فأما معاوية: «فعمر» ولده، وجمع له الشام كلها، وأقره عثمان، وأما عبد الله بن كريز، فولاه كما قال: لأنه كريم العمات والخالات.

وأما تولية الوليد بن عقبة، فقد قال عثمان: ما وليته لأنه أخي، وإنما وليته لأنه ابن أم حكيم عمة النبي ﷺ وتوأمة أبيه.

والولاية اجتهد، فقد عزل عمر سعد بن أبي وقاص، وقدم أقل منه درجة. ومروان رجل عدل من كبار الأئمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين، والفقهاء على تعظيمه، والتلفت إلى فتواه، والانقياد إلى روايته، أما السفهاء من المؤرخين والأدباء فيقولون على أقدارهم.

(١) «تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي (٤/ ٢٣٩، ٢٤٠).

(٢) «العواصم من القواصم» لابن العربي (ص ٧٧، ١١٦).

الْحُطُّ إِلَى الْبَيْتِ فِي فَضْلِ الْفَضَائِلِ
عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٢٣)

وأما الوليد وحده في الخمر، فقد حدَّ عمر قدامة بن مظعون على الخمر، وهو أمير وعزله، وليست الذنوب مسقطاً للعدالة إذا وقعت منه التوبة.

وأما إعطاؤه خمس إفريقية لواحد فلم يصح.

وأما توليته لعبد الله بن أبي سرح، وهو الذي ارتد بعد إسلامه، فلقد تاب وعاد وحسن إسلامه، وجاهد جهاد الأبرار، ومات بين التسليمتين ومعلوم أن الذنوب ليست مسقطاً للعدالة إذا وقعت منها التوبة هذا وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعلى سائر الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم من ولي أمر المسلمين فيسر لهم فيسر أمره ومكنه في الأرض، ومن ولي أمر المسلمين وشق عليهم فاشق عليه ولا تجعل له تمكيناً في الأرض. وقوموا إلى صلاتكم.



عثمان بن عفان رضي الله عنه



إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله في الخطبة الثالثة عن الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه وما زال حديثنا حول بعض الافتراءات والرد عليها للذب عن شخصه رضي الله عنه.

وأما قولهم بأنه أخرج أبا ذر إلى الريدة: فهذا ظلم عظيم، ومنكر أثيم.. فعثمان رضي الله عنه أعدل وأفضل من أن يفعل بالأفاضل من الصحابة ما لا يستحقون، أو يناهم بمكروه، وإنما كان هذا من عثمان تحييراً لأبي ذر، والدليل على ذلك ما رواه زيد ابن وهب، قال: "مررت بالريدة، فقلت لأبي ذر س: ما أنزلك هذا المنزل؟ فقال: أخبرك، أني كنت بالشام فتذاكرت أنا ومعاوية هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾

الْحَطَّ الْمُنِيرُ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ————— عثمان بن عفان رضي الله عنه (١٢٥)

الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾
[التوبة: ٣٤]، فقال معاوية رضي الله عنه: هذه نزلت في أهل الكتاب، وقلت أنا: هي فيهم
وفينا، فكتب معاوية إلى عثمان في ذلك فكتب إلي: أن أقدم علي، فقدمت عليه فأنشأ
علي الناس كأنهم لم يعرفوني، فشكوت ذلك إلى عثمان رضي الله عنه، فخيرني، فقال: انزل
حيث شئت ^(١).

وقال عبد الله بن الصامت: دخلت على أبي ذر في رهط من غفار على عثمان بن
عفان من الباب الذي لا يدخل عليه منه، قال: وتحوفنا عثمان عليه، فانتهى إليه،
فسلم عليه، قال: ثم ما بدأه بشيء إلا أن قال: أحبستني منهم يا أمير المؤمنين؟!
والله ما أنا منهم - يعني الخوارج - ولا أدركهم، ولو أمرتني أن أعص على عرقوبي
قتب لعضضت عليهما حتى يأتيني الموت وأنا عاض عليهما.

قال: صدقت يا أبا ذر، إنا إنما أرسلنا إليك الخير، لتجاورنا بالمدينة.

قال: لا حاجة لي في ذلك، ثم استأذنه في الربذة، فقال: ائذن لي في الربذة.

قال: نعم نأذن لك، ونأمر لك بنعم من نعم الصدقة تغدو عليها وتروح فتصيب
من رسلها. يعني اللبن.

قال: لا حاجة لنا في ذلك، يكفي أبا ذر صرته ^(٢) ثم خرج فنادى: دونكم معاشر
قريش، دنياكم فاعدموها لا حاجة لنا فيها، ودعونا وديننا ^(٣).

قال غالب القطان: قلت للحسن البصري: أعثمان أخرج أبا ذر؟ قال: لا، معاذ
الله ^(٤).

وكان محمد بن سيرين - رحمه الله - إذا ذكر له أن عثمان بن عفان سيرة أخذه أمر

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو نعيم «١٣٩».

(٢) الصرته: القطعة من الإبل.

(٣) صحيح أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٢٣٢ / ٤).

(٤) إسناده حسن: رواه الذهبي في «تاريخ الإسلام» وابن شعبة (١٠٣٧ / ٣).

عظيم، ويقول: هو خرج من قبل نفسه، ولم يسيره عثمان رضي الله عنه ^(١)

وأما قولهم بأنه حرق المصاحف:

فالجواب: قال علي بن أبي طالب: فوالله ما حرقها إلا على ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ، جمعنا وقال: ما تقولون في هذه القراءة التي اختلف الناس فيها، يلقي الرجل الرجل، فيقول: قراءتي خير من قراءتك وهذا يجزئ إلى الكفر، فقلنا: ما الرأي؟ قال: أريد أن أجمع الناس على مصحف واحد، فإنكم إن اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافًا، فقلنا: نعم ما رأيت ^(٢).

وأما قولهم بأنه رد طريق رسول الله ﷺ: الحكم بن العاص.

فالجواب عن ذلك بأن الإمام ابن تيمية - رحمه الله - قال: لم تثبت من الأصل وليس لها إسناد.

ومن تلك المطاعن الواهية: أنه أمر بالعطاء من مال الصدقة، وأن الناس أنكروه.

وللرد على ذلك يقول أبو نعيم الأصبهاني - رحمه الله -: عثمان رضي الله عنه أعلم ممن أنكر عليه، وللأئمة إذا رأوا المصلحة للرعية في شيء أن يفعلوه ولا تجعل إنكار من جهل المصلحة حجة على من عرفها، ولا يخلو زمان من قوم يجهلون وينكرون الحق من حيث لا يعرفون.

ولا يلزم عثمان فيما أمر به إنكار من أنكر لما رأى من المصلحة، فقد فرق رسول الله ﷺ غنائم حنين في المؤلفات لقلوبهم يوم الجعرانة، وترك الأنصار لما رأى المصلحة حتى قال قائلهم: تقسم غنائمنا في الناس وسيوفنا تقطر من دمائهم؟!

فكان الذي دعاهم إلى الإنكار على فعل رسول الله ﷺ قلة معرفتهم بما رأى من المصلحة فيما قسم، وكان أعظم من إنكار من أنكر على عثمان رضي الله عنه لأن مال المؤلفات

(١) إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبة (١٠٣٧/٣).

(٢) «منهاج السنة» (٢٥٢/٦ - ٢٥٣).

من الغنيمة، فلا يلزم عثمان رضي الله عنه من إنكار من أنكر عليه شيئاً إلا ما لزم رسول الله ﷺ حين رأى المصلحة فيما فعل اقتداءً بنبيه ﷺ ^(١).

أما الطعن على عثمان رضي الله عنه بأنه ضرب عماراً حتى فتق أمعاءه! فقال أبو نعيم في «تثبيت الإمامة»: هذا غير ثابت عنه، وقال ابن العربي: وأما ضربه عماراً فزور، وإفك. ودعوى ضربه ابن مسعود، وكسر أضلاعه، ومنعه عطاءه ستين! كل هذا باطل وزور ولا أصل له ^(٢).

بل لقد قال الإمام ابن تيمية: فإن قيل: إن عثمان قد ضرب ابن مسعود وعماراً، فهذا لا يقدح في واحد منهم، فإننا نشهد أن الثلاثة في الجنة، وأنهم من أكابر أولياء الله المتقين، ولقد ضرب عمر، أبي بن كعب بالدرة لما رأى الناس يمشون خلفه، وقال: ذلة للتابع، وفتنة للمتبع ^(٣).

عباد الله: وها هو ابن عمر رضي الله عنهما يدافع عن عثمان رضي الله عنه فقد جاء رجل من أهل مصر وحج البيت، فرأى قوماً جلوساً، فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، قال: يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء فحدثني عنه. هل تعلم أن عثمان قرَّ يوم أحد؟ قال: نعم. فقال: تعلم أنه تغيب يوم بدر ولم يشهد؟ قال: نعم، قال الرجل: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدا؟ قال: نعم، قال: الله أكبر.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: تعال أبين لك. أما فراره يوم أحد، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحت بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه»، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله

(١) «تثبيت الإمامة» لأبي نعيم (ص: ١٤٩).

(٢) «تثبيت الإمامة» لأبي نعيم (١٥١ - ١٥٢).

(٣) «منهاج السنة» (٣/ ١٩٢) نقلًا من «ترطيب الأفواه» (١٤١: ١٤٧) بتصرف.

(١٢٨) الخطيب البغدادي في فضائل الصحابة ————— عثمان بن عفان رضي الله عنه

رضي الله عنه عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ: «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده فقال: «هذه لعثمان»، فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك^(١).

عباد الله: وما هو عتاب يجعل القلب يبكي الدماء بدل الدموع وقت الحصار.
عن أبي أمامة بن سهل قال: كنا مع عثمان وهو محصور في الدار، وكان في الدار مدخل من دخله سمع كلام من على البلاط، فدخله عثمان فخرج إلينا وهو متغير لونه، فقال: إنهم ليتواعدوني بالقتل آنفاً، قال: قلنا: يكفيكم الله يا أمير المؤمنين قال: ولم يقتلونني؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إسلام، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس، فوالله ما زنت في جاهلية ولا في إسلام قط، ولا أحيت أن لي بديني بدلا منذ هداني الله، ولا قتلت نفساً، فبِمَ يقتلونني»^(٢).

وعن أبي عبد الرحمن، أن عثمان رضي الله عنه حين حوَّصر أشرف عليهم وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ: ألسنتم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من حفر رومة البشر فله الجنة» فحفرتها؟ ألسنتم تعلمون أنه قال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة» فجهزته؟ قال: فصدقوه بما قال^(٣).

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



(١) أخرجه البخاري عن عثمان - ابن موهب - (٣٦٩٨).

(٢) رواه أبو حنبل (٤٥٠٢)، وأحمد (٦١/١ - ٦٢) وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٧٨) معلقاً، وهو صحيح لشواهده.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والمذلة والخسران لقتلة الأنبياء والشهداء من أتباع النبيين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحابه أجمعين. وبعد:

عباد الله: لما اشتد حصار الثوار لدار عثمان رضي الله عنه قال للصحابة الذين تجمعوا حول داره ليواجهوا الثوار بالسلاح: « إن أعظمكم عني غناءً ، رجل كف يده وسلاحه!! » .

ويقول لأبي هريرة رضي الله عنه وقد جاء شاهراً سلاحه، مدافعاً عنه: أما إنك والله لو قتلت رجلاً واحداً، لكانما قتلت الناس جميعاً.

ويقول للحسن والحسين وابن عمر وعبد الله بن الزبير، وشباب الصحابة الذين أخذوا مكانهم لحراسته: أناشدكم الله وأسألكم به، ألا تراق بسبي محجمة دم.

قال ابن عمر رضي الله عنه: جاء علي إلى عثمان يوم الدار، وقد أغلق الباب ومعه الحسن ابن علي وعليه سلاحه، فقال للحسن: ادخل إلى أمير المؤمنين، وأقرئه السلام، وقل له: إنما جئت لنصرتك، فمرني بأمرك، فدخل الحسن ثم خرج، فقال لأبيه: إن أمير المؤمنين يقرئك السلام، ويقول لك: لا حاجة لي في قتال وإهراق الدماء. قال: فترع "علي" غمامة سوداء، فرمى بها بين يدي الباب، وجعل ينادي:

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢] ^(١).

الله درك يا عثمان.. رحمة جامعة تغطي بعطائها المقسط جلائل الأحداث وصغارها، فللخادم منها حظه وحقه في أن ينعم براحة النوم، وإن أضنى الخليفة نفسه وشيخوخته في ظلمة الليل البهيم، ولقطرات الدم حظها وحقها في أن تنعم بالسلام والعافية، وإن كان بديل ذلك أن ترهق روح الخليفة الشيخ بيد معتد أثيم، وغادر زنيم، توغلت الرحمة في حياته وفي سلوكه، حتى اقتضته آخر الأمر حياته

نفسها، فجاد بها.

عباد الله: ويتجلى صموده رضي الله عنه وعلو همته في تطبيقه لما أخبر به النبي ﷺ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عثمان إن الله مُقَمِّصُكَ قَمِيصاً، فإن أَرَادَكَ المنافقون على خلعه، فلا تخلعه حتى تلقاني»^(١).

لله دره في محتته، محنة هبطت بها شراسة المتأمرين إلى السفح، وارتفع بها تسامح الخليفة إلى القمة. قال رسول الله ﷺ: «إذا مشيت أمتي المطيطاء، وخدمها أبناء الملوك: أبناء فارس والروم، سلط شرارها على خيارها»^(٢).

مؤامرة يتولاها ويَعُدُّ لها الناقمون على الإسلام كله الدين والدولة والأمة.

لقد سيطر على رُوع الخليفة واجب - وهو يرى المد المتآمر - بداله - يومئذ - أنه أهم الواجبات وأقدسها، ذلكم هو المحافظة الكاملة على هيئة الدولة وسلطانها. فهذه الفتنة المخربة، والتمرد الآبق، يهدفان إلى هدم كيائها ودحر قيمها، واعتصام الدولة بكبريائها وسلطانها، يصبح واجبها الأول ومسئوليتها المقدسة. لقد وعى خليفتنا عهد رسول الله إليه ببصر ثاقب، وحمل مسئولية بعزم مجيد. من شاء أن يبصر علو الهمة في الاستمسك في أجل وأروع وأبهى صورة، لا لللفوضي، حتى ولو كان فيها قتله، تواتيه فرصة قتال الثوار وقتلهم، فيرفضها، ومع هذا حين أخرج الثوار ورفقتهم الأخيرة، ورفعوا عقائثرهم في جُرأة ضارية: إما اعتزال عثمان، وإما قتله في ثبات مُذهل يرفض الخليفة أن يعتزل.

أبمكن لرجل جاوز الثمانين أن يستبد به طموح المنصب ومجده وجاهه، والأخطار والمهالك على هذا النحو المزلزل الرهيب.

لقد رفض عثمان رضي الله عنه أن يعتزل؛ لأنه رجل مسئوليات من طراز فريد. وهذا

(١) صحيح أخرجه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٤٧).

(٢) صحيح أخرجه الترمذي عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٨٠١).

الخطيب المنير في فضائل الصحابة ————— عثمان بن عفان رضي الله عنه (١٣١)

الخلق كان مخبوءاً تحت ستار تواضعه وحيائه، وما كنا سنراه متألقاً كالشمس في رابعة النهار إلا في أزمة كهذه، وموقف كهذا الموقف الزاخر العظيم، أفبرضخ ويسلم مصاير الإسلام، وكرامة الدولة، لعصابة مفتونة؟ لا، وألف لا.

قال له ابن عمر: «لا تُسنَّ هذه السُّنة في الإسلام، ولا تخلع قميصاً ألبسكه الله».

منعوه رؤاده، ومنعوه الماء، الذي تتفجر به بئر رومة التي اشتراها من خالص ماله وأهداها للمسلمين.. سبحان الله! ما أعلى هذه المهمة، صبر على حقن الدماء ولو سالت دماؤه، وحفاظ على هيبة الدولة ولو ذبح.

حاصروه أربعين يوماً، وعنده في الدار من المهاجرين والأنصار قريب سبعمائة، وخلق من مواليه، ولو تركهم لمنعوه، فقال لهم: أقسم على من لي عليه حق، أن يكف يده، وأن ينطلق إلى منزله. وقال لرفيقه: من أغمد سيفه فهو حُرٌّ.

عن نافع عن ابن عمر، أن عثمان رضي الله عنه أصبح يحدث الناس، قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال: «يا عثمان، أفطر عندنا»، فأصبح صائماً وقتل من يومه^(١)، واستسلم عثمان لأمر الله رجاء موعوده، وشوقاً إلى رسوله ﷺ، ليكون خير ابني آدم: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِآيَتِي وَإِنَّمَا فَتُكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩].

كان عثمان أكثر الناس يقيناً بصدق رؤياه، سينطلق في عرسه العظيم إلى رحاب الله وجوار محمد ﷺ ورحلة الخلود.

ولما أصابوا كفه، قال: والله إنها لأول يد خطت المفصل وكتبت آي القرآن وسال الدم على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

لقد كان همه ألا تسقط راية الخلافة من يمينه، وألا يلقي الله - حتى يلقاه - وعلى يديه قطرة واحدة من دماء مسلمة. وحين تمدد جثمانه الظهور، كان كتاب الله لصيقه وصديقه ومن أولى بذلك منه؟! وهو الذي وحّده وحفظه وافتداه^(٢).

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٧/ ١٩٠).

(٢) «صلح الأمة» د/ سيد حسين (٦/ ٦٤: ٦٦).

عباد الله: إن الله عز وجل - تكفل لأوليائه المؤمنين بالدفاع عنهم في حياتهم، بل وبعد موتهم. قال تعالى: ﴿لَا يَدْفَعُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].

وقال تعالى في الحديث القدسي: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب..»^(١)

وقد يسأل سائل ويقول: ولم لم يدافع الله عنه عند قتله؟! .

أقول: إن قتله هو أعظم دفاع عنه، فقد رزقه الله الشهادة بذلك مصداقاً لقول النبي ﷺ الذي بشره بها. وها هي صورة مشرقة من دفاع الله عن عثمان رضي الله عنه بعد موته - هذا غير العذاب الذي سيلقيه قاتلوه يوم القيامة عند ربهم.

عن أبي قلابة، قال: كنت في رفقة بالشام، وسمعت صوت رجل يقول: يا ويلاه النار. قال: فقممت إليه، وإذا رجل مقطوع اليدين والرجلين من الحقوين، أعمى العينين، منكباً لوجهه، فسألته عن حاله فقال: إني كنت ممن دخل على عثمان الدار، فلما دنوت منه صرخت زوجته فلطمتها، فقال: أي عثمان: مالك قطع الله يديك ورجليك وأعمى عينيك، وأدخلك النار، فأخذتني رعدة عظيمة، وخرجت هارباً، فأصابني ما ترى، ولم يبق من دعائه إلا النار. قلت له: بعداً لك وسحقاً^(٢).

ورحل الشهيد عن دنيا الناس بعد حياة طويلة مليئة بالبذل والتضحية والجهاد والعدل والسماحة والتواضع.

رحل بعد أن سالت دماؤه التي لطالما امتزجت بحب الله وحب رسوله ﷺ، سالت دماؤه الشريفة التي انصهرت مع كل آية من آيات القرآن الكريم. وها نحن بعد هذا الزمان الطويل نذكره ونذكر أعماله الجليلة، ولن ننساه أبداً ما دامت

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة.

(٢) «الرياض النضرة في مناقب العشرة» للطبري (٥٠٧) تحقيق/ حمزة النشري، وقال يزيد ابن حبيب: إن عامة الذين ساروا إلى عثمان جُثوا، أي أصيبوا بالجنون. قال الهيثمي في «المجمع» (١٤٥٣): رواه الطبراني، أي أصيبوا بالجنون. وإسناده حسن.

أرواحنا في أجسادنا

فرضي الله عن عثمان وعن سائر الصحابة أجمعين، اللهم اجمعنا بهم في جنات النعيم على سرر متقابلين، اللهم من ولي أمر المسلمين فيسر لهم فيسر أمره وأصلح شأنه يا أرحم الراحمين، ومن ولي أمر المسلمين وشق عليهم فاشقق عليه ولا تجعل له سلطاناً على المسلمين، اللهم دمر الصليبيين وأعوانهم واجعلهم وما يملكون غنيمة للإسلام والمسلمين. وقوموا إلى صلاتكم.



علي بن أبي طالب عليه السلام



إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْهُ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله في الخطبة الأولى عن الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب عليه السلام ها نحن نفتح صفحة، أقصد صفحات مضيئة، بل ومليئة بالزهد والورع والخشية والتضحية والجهاد بالنفس والنفس في سبيل الله جل وعلا.

إنه علي بن أبي طالب عليه السلام.

إنه البطل، بل حيدرة الأبطال الذي عاش لله بقلبه وجوارحه.

إنه التقى الذي تربى في حقل الإسلام وسقي بباء الوحي، فكان زهرة يانعة

الخطيب المنير في فضائل الصحابة ————— علي بن أبي طالب عليه السلام (١٣٥)

طاب ريحها وملأ أرجاء الكون كله، وما زلنا نشم عطر سيرته حتى يومنا هذا، وسيظل هذا العبير ينشر عطره عبر العصور والأزمان على أرجاء الكون ليعلم الكون كله كيف استطاع الحبيب ﷺ أن يربي أصحابه ليكونوا نجومًا في سماء الدنيا تضيء للناس طريقهم إلى الله.

وكيف لا؟! وهو الذي رباه الخالق - جل جلاله - ليربي به الأمم والأجيال عبر العصور والأزمان، إنه وهو في السادسة من عمره بدأ يعيش مع محمد الصادق الأمين، يتأدب على يديه، ويتأثر بطهره، وعظمة نفسه، وتقى ضميره وسلوكه، وحين بلغ العاشرة. كان الرسول قد أمر بالدعوة، وكان هو سابق المسلمين!!.

وسارت حياته من ذلك اليوم إلى أن يجيء اليوم الذي سيلقى فيه ربه، تطبيقًا كاملاً وأميناً لمنهج الرسول وتعاليم القرآن.
ألا بوركت هذه الحياة!!.

حياة لم تكن لها صَبَوَةٌ. ولا شهوة، ولا هفوة!!.

حياة ولد صاحبها، وتبعات الرجال فوق كاهله!!.

حتى هو الأطفال لم يكن لحياة "علي بن أبي طالب عليه السلام" فيه حظ ولا نصيب.. فلا مزامير البادية، ولا أغاني السُّمَّار، شبع منها سمع الطفل، ووجدان الشباب.

لَكَانَ المقادير كانت تدخر سمعه ووجدانه، لكلمات أخرى ستغير وجه الأرض، ووجه الحياة...!! أجل، لقد أَدَخِرَ سمع الفتى وقلبه، ليتلقى بها كما لم يتلقَ أحد مثله آيات الله العلي الكبير، لقد كان يسمع القرآن غَضًّا طَرِيًّا من فم الصادق المصدوق ﷺ.

ولك أن تتصور أيها الأخ الكريم نفسك وأنت تسمع القرآن من فم من أنزل عليه القرآن ﷺ. وفي نور هذه الآيات المنزَّلة، والتي كان الوحي يجيء بها تبعاً، قضى «علي بن أبي طالب عليه السلام» بواكير حياته النظرة يبهره نورها، ويهزه هديرها،

(١٣٦) **الخطبة المنيرة في فضائل الصحابة** ————— **علي بن أبي طالب** عليه السلام

يسمع آية ألجنة يتلوها الرسول، فكانها الغلام الرشيد يراها رأي العين، حتى ليكاد ييسط يمينه؛ ليقطف من مباحجها وأعنانها!

ويسمع آية النار، فيرتعد كالعصفور دهمه إعصار، ولولا جلال الصلاة وحرمتها لولى هارباً من لفع النار الذي يحسه ويراه! (١).

وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصلبان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم إن أبا طالب عثرَ عليهما يوماً وهما يُصَلِّيان، فقال لرسول الله ﷺ: يا ابن أخي! ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: «أي عمّ. هذا دين الله، ودين ملائكته ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم» أو كما قال ﷺ: «بعثني الله به رسولا إلى العباد، وأنت أي عمّ، أحق من بذلت له النصيحة. ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه» فقال أبو طالب: أي ابن أخي إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يُخَلِّصُ إليك بشيء تكرهه ما بقيت (٢).

وذكروا أنه قال لعلي: أي بُنيّ، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت، آمنت بالله وبرسول الله، وصدّقته بما جاء به، وصليت معه لله، واتبعته، فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير، فالزمه (٣).

ولما كانت حياته في بيت النبي ﷺ فإنه عرف جميع أموره الداخلية، ودرس أحواله وأخلاقه عن قرب وشرب من مشربه، وتربى على أخلاقه ﷺ وعاداته، وتصرفاته، فلبس ثياب الطهر في صغره، وبُعِدَ عن الأصنام وناصبها العداء من بداية أمره، وشُغل بأمر النبي ﷺ طيلة حياته؛ لأنه كان دائم القرب منه، والصلة

(١) «خلفاء الرسول» خالد محمد خالد (٤٧٣: ٤٧٤) بتصرف.

(٢) لا يخلص إليك: أي لا يصل إليك.

(٣) «السيرة» لابن هشام (٢٠٩/١ - ٢١٠).

الْحَطَّابُ الْخَيْرِيُّ فِي فَضَائِلِ الْفَخْرِيَّةِ ————— علي بن أبي طالب عليه السلام (١٣٧)

به، والعمل على راحته وخدمته، والاستضاءة بنوره، والشرب من منهله أكثر من غيره. وكان مع ذلك قد أوتي ذاكرة واعية، وعقلاً متفتحاً، وذكاءً نادراً، وشجاعة فذة، وقوة لا مثيلاً لها عند غيره.

وكان قد اعتاد أن يحيا حياة النبي ﷺ في زهده وتقشفه وورعه وخوفه من الله، وصلابته في الحق، وثباته عليه، والدعوة إليه.

وكان عنده من عمر عليه السلام عزمه وحزمه، وشدته في الله وصلابته، وسرعة بته في الأمور وانقضاضة على الباطل وأهله في غير مهادة أو مداينة.

ولم يكن علي عليه السلام يعرف مجاملة الناس في سبيل نصره الحق وإزهاق الباطل، وليس عنده استعداد أن يدير سياسة الرعية حسبا تقتضي أحوال السياسة بعيداً عن أصول الدين وفروعه وما كان عليه رسول الله ﷺ والخليفان من بعده^(١).

عباد الله: وها هي باقة عطرة من مناقبه عليه السلام والأوسمة التي وضعها الحبيب ﷺ على صدره، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «إهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»^(٢).

وعن علي عليه السلام قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله، إنك تبعثني إلى قوم هم أسنُّ مني لأقضي بينهم، قال: اذهب فإن الله تعالى سيثبت لسانك ويهدي قلبك^(٣).

وقال عليه السلام: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة».

(١) «الخلفاء الراشدون» للشيخ / حسن أيوب (ص ٢٥١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤١٧).

(٣) رواه أحمد (٨٨/١) والنسائي في الخصائص (٣٥)، وقال العدوي: وهو صحيح بمجموع طرقه.

وعن حبشي بن جنادة السلوي - وكان قد شهد حجة الوداع - قال: قال رسول الله ﷺ: «علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي»^(٢).
قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والمذلة والخسران لأعداء الدين من الكفرة والمشركين والمنافقين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

عباد الله؛ ما زال حديثنا في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام عن علي عليه السلام قال: لما توفي أبو طالب أتيت النبي ﷺ فقلت: إن عمك الشيخ قد مات: «أذهب فواره ثم لا تحدث شيئاً حتى تأتيني» قال: فواريته ثم أتيت قال: «أذهب فواره ثم لا تحدث شيئاً حتى تأتيني» قال: فاغتسلت ثم أتيت قال: فدعالي بدعوات ما يسرنى أن لي بها حمر النعم وسودها، قال: وكان علي عليه السلام إذا غسل ميتاً اغتسل^(٣).

وعن زر قال: قال علي: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إلي: «أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»^(٤).

(١) رواه أحمد، والضياء عن سعيد بن زيد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٠).
(٢) رواه أحمد (٤/ ١٦٥)، والترمذي (٣٧١٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٠٩١).
(٣) رواه أحمد (١/ ١٠٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (١/ ٣٣٥)، وقال العدوي: وهو حسن.
(٤) أخرجه مسلم (٧٨)، والترمذي (٣٧٣٦).

وعن ابن أبي ليلي قال: حدثنا علي أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحي، فأتى النبي ﷺ بسبي فانطلقت لتطلب منه من يخدمها من السبايا فلم تجده فوجدت عائشة فأخبرتها فلما جاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لأقوم فقال: «على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدمه على صدري، وقال: ألا أعلمكما خيرا مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما تكبران أربعاً وثلاثين وتسبحان ثلاثاً وثلاثين وتحمدان ثلاثاً وثلاثين فهو خير لكما من خادم»^(١).

وعن مصعب بن سعد عن أبيه: أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: «ألا ترضى أن تكون مني بمتزلة هارون إلا أنه ليس نبي بعدي»^(٢).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: كنت جالساً في المسجد أنا ورجلين معي فنلتنا من علي فأقبل رسول الله ﷺ غضبان يُعرَف في وجهه الغضب فتعوزت بالله من غضبه، فقال: «ما لكم وما لي؟ من آذى علياً فقد آذاني»^(٣).

وعن أبي بكر أن النبي ﷺ بعثه ببراءة لأهل مكة لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، من كان بينه وبين رسول الله ﷺ مدة فأجله إلى مدته، والله بريء من المشركين ورسوله، قال: فسار بها ثلاثاً ثم قال لعلي رضي الله عنه: إلحقه فرُدَّ علياً أبابكر وبلغها أنت، قال: ففعل قال: فلما قدم على النبي ﷺ أبو بكر بكى. قال: يا رسول الله حدث في شيء؟ قال: ما حدث فيك إلا خير، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني^(٤).

وعن البراء رضي الله عنه قال: لما اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (٢٧٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٣) رواه أبو يعلى (١٠٩/٢)، وأحمد (١٠٧٨) وهو حسن.

(٤) رواه أحمد (٣/١) وهو صحيح بمجموع طرقه.

ما قاضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لا نقرُّ لك بهذا، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً، ولكن أنت محمد بن عبد الله، فقال: أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله، ثم قال لعلي: امح رسول الله. قال علي: لا والله لا أمحوك أبداً فأخذ رسول الله الكتاب - وليس يحسن يكتب - فكتب: هذا ما قاضى محمد بن عبد الله لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً إن أراد أن يقيم بها فلما دخلها ومضى الأجل، أتوا علياً فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا، فقد مضى الأجل. فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي: يا عم يا عم. فتناولها علي وزيد وجعفر، قال علي: أنا أخذتها وهي بنت عمي، وقال جعفر: ابنة عمك وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي. فقاضى بها النبي ﷺ لخالتها، وقال: الخالة بمنزلة الأم، وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك»، وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي»، وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا»، وقال علي: ألا تتزوج بنت حمزة؟ قال: إنها ابنة أخي من الرضاعة^(١).

عباد الله! وقد نال علي عليه السلام ثلاث مناقب أغلى من الدنيا وما فيها.

عن سعد بن أبي وقاص قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله ﷺ فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حُمُر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له: خَلَقَهُ في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله، خَلَفْتَنِي مع النساء والصبيان؟، فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي»، وسمعت يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله» قال: فتناولناها، فقال: «ادعوا لي علياً» فأتي به أرمد فبصق على عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ نَعَاوَنُكُمْ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءُكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]. دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال:

(١) رواه أحمد (٣/١) وهو صحيح بمجموع طرقه.

«اللهم هؤلاء أهلي»^(١)

محمد النبي أخى وصهرى . . . وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يسمى ويضحى . . . يطير مع الملائكة ابن أمة
وبنت محمد سكنا وزوجى . . . منوطاً لحمها بدمى ولحمى
وسبطاً أحمد ولداى منها . . . فأىكم له سهم كسهمى

وعند النسائي في «الخصائص» عقب حديث (٥٢) زيادة فوالله ما ذكره معاوية
بحرف حتى خرج من المدينة وإسنادها صحيح وفيها شدة تورع معاوية وتوقفه
عند حديث رسول الله ﷺ.

ومن مواقف علي عليه السلام الشجاعة نومه على فراش النبي ﷺ ليفديه، فأسعد الله
فراشه بفاطمة لترضيه.

ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» اجتماع شياطين قريش في دار الندوة في يوم
الزحمة، وحكى ما كان بينهم وبين إبليس الذى تبدى لهم في صورة الشيخ النجدي،
واستقر رأيهم على ما قال أبو جهل بن هشام. أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً
جليداً نسبياً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه،
فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إن فعلوا ذلك تفرق
دمه في القبائل جميعها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا
بالعقل - الدية - فعقلناه لهم فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له. فأتى جبرائيل
رسول الله ﷺ فقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه.

قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون
عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم، قال لعلي بن أبي طالب: «نم على فراشي،

(١) أخرجه مسلم في طريق حديث (٢٤٠٤).

(١٤٢) الخط المنبري في فضائل الصحابة ————— علي بن أبي طالب عليه السلام

وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فتم فيه إنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم» وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذ ينام.

ثم خرج رسول الله ﷺ وهو يتلو هذه الآيات: ﴿يَسَّ ۝ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ١-٩].

ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمداً. قال: خبيكم الله، قد والله، خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترمون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يداً على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون، فيرون عليّاً على الفراش متسجياً ببرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله، إن هذا لمحمد نائماً على برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام علي عن الفراش، فقالوا: والله، لقد صدقنا الذي كان حدثنا.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، واخذل الكفرة والمشركين، اللهم شتت شملهم وفرق جمعهم واجعل الدائرة عليهم إلى يوم الدين، اللهم من ولي أمر المسلمين ويسر لهم، فيسر أمره ومكنه في الأرض، ومن ولي أمر المسلمين فشق عليهم فاشقق عليه، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وقوموا إلى صلاتكم.



علي بن أبي طالب عليه السلام



إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله في الخطبة الثانية عن الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب س المسمى حيدرة قال: عليه السلام:

أنا الذي سمّني أمي حيدرة . . . كليث غابات كريحه المنظرة

لقد حمى حيدرة الدعوة في شخص نبيها ﷺ ونام في فراشه في أصعب ليلة مرت بها الدعوة، رجل ينام في الفراش وهو يعلم أن على الباب رجالاً لا يريدون إلا رأس النائم على الفراش، فلما قلق به الفراش ليلة من أجل نبيه، أسعد الله فراشه بفاطمة بنت نبيه صلى ﷺ التي تجلببت في جلباب كمالها. وأعطاه الرسول

(١٤٤) **الْحَبَشِيُّ فِي فَضَائِلِ الْحِكَايَةِ** ————— **علي بن أبي طالب** عليه السلام

ﷺ الأهل والمرحب، وأصدقه درعه الحطمية، فأهديت إليه ومعها خميعة ومرفقة من آدم - جلد - حشوها ليف، وقربه ومنخل وقدح ورحى وجرابان. ودخلت عليه ومالها فراش غير جلد كبش ينامان عليه بالليل وتعلف عليه الناضح بالنهار، وكانت هي خادمة نفسها.

تالله، ما ضرها ذلك.

وفي الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال لها: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء المؤمنين».

وفي الصحيحين عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني».

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علي وعمار وسلمان» ونعم الجزاء^(١).

عباد الله؛ أما جهاده عليه السلام فما هو يسطر على جبين التاريخ بسطور من النور صفحات مشرقة من جهاده في سبيل الله تعالى فهو يبحث عن الشهادة ويشتاق إليها اشتياق من يبحث عن الماء البارد في صحراء موحشة.

وفي غزوة بدر خرج الفارس المغوار مجاهداً في سبيل الله.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا يوم بدر ثلاثة على بعير.. كان أبو لبابة وعلي ابن أبي طالب زميلي رسول الله ﷺ قال: وكانت عقبة رسول الله ﷺ - دوره في المشي - قال: فتألا: نحن نمشي عنك فقال: «ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما»^(٢).

وفي أرض الشرف والجهاد حيث تصمت الألسنة وتنطق السيوف فوق هامات

(١) رواه الترمذي والحاكم في المستدرک وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٥٩٨).

(٢) رواه أحمد (٤١١/١)، والطيالسي (٣٥٤) وإسناده حسن.

الخطبة النبوية في فضائل الصحابة ————— علي بن أبي طالب عليه السلام (١٤٥)

الرؤوس.. كان لبطلنا هذا الموقف العظيم.

عن علي عليه السلام قال: تقدم - يعني عتبة بن ربيعة - وتبعه ابنه وأخوه فنأدى: من يبارز؟ فانتدب له شباب من الأنصار فقال: من أنتم؟ فأخبروه فقال: لا حاجة لنا فيكم إنما أردنا بني عمنا فقال رسول الله ﷺ: «قم يا حمزة قم يا علي قم يا عبيدة بن الحارث» فأقبل حمزة إلى عتبة وأقبلت إلى شيبه واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان فأثن كل واحد منهما صاحبه ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة^(١).

وعن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة» وقال قيس بن عباد وفيهم أنزلت: ﴿هَٰذَا نِ خَصْمَانِ تَخَصَّمُوا فِي رَيْبِهِمُ﴾ [الحج: ١٩] قال: «هم الذين تبارزوا يوم بدر.. حمزة وعلي وعبيدة - وأبو عبيدة بن الحارث - وشيبه بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة»^(٢).

وفي غزوة الخندق كان له هذا الموقف العظيم مع فارس قريش (عمرو بن عبدو).

كان عمرو بن عبدو العامري «كبش الكتبية» فقد حضر معركة بدر الكبرى، وذاق مرارة الهزيمة بعد أن جرح في المعركة، فنذر أن لا يمس رأسه دهناً حتى يقتل محمداً، ولهذا كان أول الفرسان المقتحمين بخيلهم الخندق نحو المسلمين، ومعه فوارس من قريش، وخرج علي بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تعنق - تسرع - نحوهم.

قال ابن إسحاق: «كان عمرو بن عبدو العامري (وهو كبش الكتبية) قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحداً، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه، فلما وقف هو وخيله قال: من يبارز؟ فبرز إليه علي بن أبي طالب فقال: أنا

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٦٦٥)، وأحمد (١١٧/١).
 (٢) أخرجه البخاري (٣٩٦٥) وعزاه المزي في «الأطراف» للنسائي.

(١٤٦) الخطيب المبرز في فضائل الصحابة ————— علي بن أبي طالب عليه السلام

لها يا نبي الله. فقال: «إنه عمرو، اجلس» ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنبهم ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلا، ألا تبرزون إلى رجلاً؟!

فقام علي فقال: أنا يا رسول الله. فقال: «اجلس». ثم نادى الثالثة فقال:

ولقد بححت من النداء .: لجمعهم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن الشجع .: موقف القصر المناجر
ولـذاك إني لم أزل .: متسرعا قبل الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى .: والجود من خير الغرائز
قال: فقام علي عليه السلام فقال: يا رسول الله، أنا فقال: «إنه عمرو» فقال: وإن كان
عمراً. فأذن له رسول الله ﷺ، فمشى إليه، حتى أتى وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك .: مجيب صوتك غير عاجز
ذو نيّة وبصيرة .: والصدق منجي كل فائز
إني لأرجوا أن أقي .: سم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يب .: قى ذكرها عند الهزاهز

نجلاء: واسعة - الهزاهز: الحروب والشداد.

ولما مشى علي إلى عمرو ليبارزه قال له: يا عمرو، إنك كنت تقول: لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث إلا قبلتها. قال له: أجل. فقال له: إني أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتسلم لرب العالمين، فقال عمرو: يا ابن

الخطبة الحزينة في فضائل الصحابة ————— علي بن أبي طالب عليه السلام (١٤٧)

أخي، أخر عني هذه. قال علي: وأخرى: ترجع إلى بلادك، فإن يك محمد رسول الله صادقاً كنت أسعد الناس به، وإن يك كاذباً كان الذي تريد. فقال عمرو: هذا ما لا تتحدث به نساء قريش أبداً. كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت؟! ثم قال عمرو: فالثالثة، ما هي؟ فقال علي البراز. فضحك فارس قريش عمرو - وكان فارساً مشهوراً معمرًا قد جاوز الثمانين - ثم قال لعلي: إن هذه الخصلة ما كنت أظن أحداً من العرب يروعي بها. ثم قال لعلي: من أنت؟ قال له: أنا علي. قال: ابن عبد مناف؟ فقال علي: أنا علي بن أبي طالب. فقال عمرو: يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك، فوالله ما أحب أن أقتلك. فقال علي: ولكني - والله - أحب أن أقتلك. فعند ذلك غضب عمرو غضباً شديداً، ونزل فسل سيفه، كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضباً، واستقبله علي بدرقته فضربه عمرو في بدرقته ففقدها، وأثبت السيف فيها، وصاب رأسه فشجعه، وضرب (علي) على حبل عاقته فسقط، وثار العجاج، وسمع رسول الله ﷺ التكبير، فعرف الناس أن علياً قد قتل عمراً، فثم يقول علي:

أعسلي تفتحم الفوارس هكذا .: عني وعنهم أخروا أصحابي

اليوم يمنعني الفرار حفيظتي .: ومصمم في الرأس ليس بنابي

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هلا استلبت درعه، فإنه ليس للعرب درع خير منها. فقال: ضربته فاتقاني بسوءته ما فاستحييت - ابن عمي - أن أسلبه - وبعث المشركون إلى رسول الله ﷺ، يشترون جيفته بعشرة آلاف. فقال: «ادفعوا إليهم جيفته، فإنه خبيث الجيفة، خبيث الدية» فلم يقبل منهم شيئاً. (١).

قلت ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب. فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) «البداية والنهاية» ابن كثير (٤/١٠٦).

(١٤٨) **الخطبة الميمونة في فضائل الصحابة** ————— **علي بن أبي طالب** عليه السلام

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والمذلة والخسران لأعداء الدين من الكافرين والمنافقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: ما زال حديثنا عن جهاد علي بن أبي طالب عليه السلام فيها هو عليه السلام في يوم خيبر يشهد له النبي ﷺ بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ﷺ وبأن الله سيفتح على يديه.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله». قال: فبات الناس ليلتهم أيهم يعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟ فقل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه فأتى به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأنه لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام. واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه» قال عمر بن الخطاب: ما أحبيت الإمارة إلا يومئذ. قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، قال: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فأعطاه إياها. وقال: «أمش ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك». فسار (علي) شيئاً ثم وقف ولم يلتفت فصرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٥).

الخطيب الميرزا في فضائل الصحابة ————— علي بن أبي طالب عليه السلام (١٤٩)

وعن أبي سعيد الخدري، قال: إن رسول الله ﷺ أخذ الراية فهزها، ثم قال: «من يأخذها بحقها؟» فجاء فلان فقال: أنا. قال: أمط. ثم جاء رجل فقال: أمط. ثم قال النبي ﷺ: «والذي كرم وجه محمد، لأعطينها رجلاً لا يفر، هاك يا علي» فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك، وجاء بعجوتها وقديدهما^(١).

وفي حديث سلمة بن الأكوع عليه السلام: «ثم أرسلني رسول الله ﷺ إلى علي وهو أرمد، فقال: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله». قال: فأتيت علياً فجئت به أقوده وهو أرمد، حتى أتيت به رسول الله ﷺ، فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية. وخرج «مرحب» فقال:

قد علمت خيبر أني مرحب . شاكى السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي عليه السلام :

أنا الذي سمّني أمي حيدرة . كليث غابات كربه المنظرة
أو فيهم بالصاع كيل السندرة

قال: فضرب رأس «مرحب» فقتله وكان الفتح على يديه^(٢).

مرحب هذا: فارس فرسان اليهود، وكان مكتوباً على سيفه بالعبرية:

هذا سيف مَرَحَب من يذقه يعطب

(١) رواه أحمد (١٦/٣)، وفي فضائل الصحابة (٩٨٧) وإسناده حسن.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٠٧).

فضربه علي فقد الحجر والمغفر ورأسه، ووقع السيف في الأرض اس. وقبله قتل (علي عليه السلام) أخا مرحب، وهو الحارث، وبارز علي قائداً يهودياً بعد مبارزة الزبير لياسر.

وكان هذا القائد الفارس يسمى عامر، فقتله علي أمام الحصن، قال رسول الله ﷺ حين طلع عامراً: «ترونه خمسة أذرع؟» وكان طويلاً جسيماً، فلما دعا للبراز، وخطر بسيفه وعليه درعان، مقنع في الحديد يصيح من يبارز؟ فأحجم الناس عنه، فبرز إليه (علي عليه السلام) فضربه ضربات، كل ذلك لا يصنع شيئاً، حتى ضرب ساقه فبرك، ثم ذفف عليه فأخذ سلاحه ^(١).

وفتح الله على يديه حصن (ناعم) وهو من أقوى حصون خيبر.

فيا لها من صفحات مشرقة لا ننساها أبداً ما دامت أرواحنا في أبداننا.

وعاش عليه السلام ملازماً للحبيب ﷺ يقتبس من علمه وزهده وأخلاقه الرفيعة إلى أن توفي الحبيب ﷺ وحزن عليه حزناً كاد أن يمزق قلبه. فلقد فقد حبيبته ورسوله الذي لطالما احتضنه وأغدق عليه الكثير والكثير من رحمته وعطفه وعلمه، بل وأعطاه قرّة عينه وثمره فؤاده (فاطمة عليها السلام).

وبعد وفاة النبي ﷺ ظل (علي عليه السلام) ملازماً لخليفته الراشدي (أبي بكر رضي الله عنه) وكان أبو بكر يعرف قدره ومنزلته ويشاوره في عظام الأمور، ولطالما كان يسعى إليه ويقول: (أفتنا يا أبا الحسن).

ولما توفي أبو بكر رضي الله عنه وأصبح عمر رضي الله عنه أميراً للمؤمنين. كان يعرف أيضاً (لعلي) قدره ومنزلته، وطالما كان يستنجد بفقهه وبذكائه وبصيرته وقول: «لولا عليّ لهلك عمر» ولما قتل (عمر) شهيداً وتولى عثمان شئون الأمة المسلمة وأصبح أميراً للمؤمنين كان يستشير علياً، ويستنصحه ويستعين به إلى أن قتل عثمان رضي الله عنه.

(١) «سلسلة معارك الإسلام الفاصلة» - خير - لمحمد أحمد بشاميل (ص ١٢٢) ذفف: أجهز عليه.

الخطيب البغدادي في فضائل الصحابة ————— علي بن أبي طالب عليه السلام (١٥١)

وفتحت أبواب الفتن على مصراعها وتولى (علي) الخلافة على الرغم من أنه كان لا يريد لها بحال من الأحوال.

وحدثت الفتنة بينه وبين معاوية عليه السلام.

قال العافظ ابن كثير - رحمه الله -: إن ما كان بين معاوية وبين علي بعد مقتل عثمان.. على سبيل الاجتهاد والرأي فجرى بينهما قتال عظيم، وكان الحق والصواب مع علي ومعاوية معذور عند جمهور العلماء سلفاً وخلفاً، وقد شهدت الأحاديث الصحيحة بالإسلام للفريقين^(١).

وأما الحديث عن هذا الخليفة الراشد، وهمة العالية فإن حياة أبي السبطين وأبي تراب علي بن أبي طالب تتفجر عظمة وجلالاً وإعجازاً، فمن عظمة نفسه وعلو همته، تنداح رحاب ليس لها أبعاد، تتلأأ عليها بطولات وتضحيات، عظام وأمجاد، تكاد تحسبها - لولا صدق التاريخ - أحلاماً وأساطير.. مسلم عظيم يفجر الدنيا من حوالبه ذمة، واستقامة، وطهرًا، وذرى سامقة وغايات بعيدة. عظمة لن تكف عن توكيد ذاتها ما دام صاحبها حيًا، يارس العظامم ويصوغ المكرمات.

يقول ضرار بن ضميرة الكناني في وصف علي: كان بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، كان غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفيه ويخاطب نفسه، ويعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جش، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه، قابضاً على لحيته، يتململ تملل السليم، ويبكى بكاء الحزين، فكأنني أسمع وهو يقول: يا دنيا، يا دنيا، إلي تعرضت، أم إلى تشوقت؟ هيهات هيهات غري غري، قد أبنتك - طلقتك - ثلاثاً لا رجعة فيها!! فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير، أه من قلة الزاد وبعد السفر، ووحشة الطريق.

(١) «البداية والنهاية» (٥/٦٢٦).

(١٥٢) الخط المنبري في فضائل الصحابة ————— علي بن أبي طالب عليه السلام

اللهم ألحقنا بالصالحين واجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين، اللهم انصر
من نصر الدين واخذل من خذل الدين، اللهم عليك باليهود وأعوانهم من المشركين
والمنافقين، اللهم شتت شملهم وفرق جمعهم واجعل الدائرة عليهم إلى يوم الدين،
اللهم وحد صفوف المسلمين وول أمورهم خيارهم ، ولا توليها شرارهم يا أرحم
الراحمين وقوموا إلى صلاتكم.



علي بن أبي طالب عليه السلام



إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْهُ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله في الخطبة الثالثة عن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب عليه السلام وسنبدأ الحديث بإذن الله عن زهده في الدنيا، لقد كان علي عليه السلام يخرج كل ما كان في بيت المال لمستحقه، حتى إذا فرغ بيت المال، يأمر الإمام أن تُنْضَح أرضه ويُغْسَلَ بالماء، حتى إذا تمَّ ذلك، قام فصلى فوق أرضه المغسولة ركعتين!! .

كانت هذه الصلاة في بيت المال، بعد أن نضح أرضه بالماء، رمز لمعنى جليل، كان إيذاناً بعهد جديد، تسيطر فيه الآخرة على الدنيا، ويسترد الورع والتقوى نفوذهما

(١٥٤) الخط المشرقي في فضائل الصحابة ————— علي بن أبي طالب عليه السلام

على الدولة، وعلى المجتمع، وعلى الأنفس والأفئدة جميعاً.

دعي لیتزل قصر الإمارة قصر كبير ترتفع هامته في شموخ وفتنة، فلا يكاد يبصره حتى يولي مدبراً وهو يقول: قصر الخبال هذا، لا أسكنه أبداً.

ويرتدي جلباباً اشتراه من السوق بثلاثة دراهم، ويركب حماراً ويقول: دعوني أهن الدنيا.

يجد عصرنا هذا في نهجه وحكمه أستاذاً ومعلماً وهادياً، يُعَلِّمُ الحكام في كل جيل وعصر أن الولاء للمحق يعني رفض إغراء الدنيا، ورفض غرور السلطان.

قال الإمام أحمد بن حنبل، إن علياً ما زانته الخلافة ولكن هو زانها.

لقد كانت هوايته الكبرى إهانة الدنيا وإذلال مغرياتها الهائلة، بأن يرفع في وجهها يداً لا تهتز ولا تختلج، تقول لتلك المغريات: لا.

قال سفيان الثوري: ما بنى عليّ لبنة، ولا قصبة على لبنة، وإن كان ليؤتى بحبويه من المدينة في جراب.

وكان عليه السلام معه درة له عصا يمشي بها في الأسواق، ويأمر الناس بتقوى الله وحسن البيع، ويقول: أوفوا الكيل والميزان، ويقول: لا تنفخوا اللحم.

وخرج ذات يوم وعليه بردان، متزر بأحدهما، مرتد بالآخر قد أرخى جانب إزاره ورفع جانباً، وقال: إنها ألبس هذين الثوبين ليكونا أبعد لي من الزهو، وخيراً لي في صلاتي، وسنة للمؤمن.

قال عمر بن عبد العزيز: أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب.

وقال الحسن: رحم الله علياً، إن علياً كان سهماً لله صائباً في أعدائه، وكان في محلة العلم أشرفها وأقربها إلى رسول الله ﷺ، وكان رهباني هذه الأمة، لم يكن لمال الله بالسروقة، ولا في أمر الله بالنومة، أعطى القرآن عزائمه وعمله، وعلمه، فكان منه

في رياض موقنة، وأعلام بيّنة، ذاك علي بن أبي طالب^(١).

ومن مناقب علي عليه السلام: العدل وما هي صفحات مشرقة من عدله عليه السلام، عن أبي الحسن: يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، كانت حظوظه مع نفسه في طهرها وعدلها وتقائها رابية وواقية، وكان عدله سامقاً يبقى على مر الزمان مناراً لذوي الرشد والنهي، وكان ولاؤه للعدل ولاء مطبوعاً. ولاء فطرة وولاء يقين.

يقول عليه السلام: أقنع من نفسي أن يقال: أمير المؤمنين، ثم لا أشارك المؤمنين في مكاره الزمان؟ والله لو شئت لكان لي من صفو هذا العسل، ولباب هذا البر، ومناعم هذه الثياب ولكن هيهات أن يغلبني الهوى، فأبيت مبطاناً وحولي بطون غرثي وأكباد حرّى.

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام على المنبر في يوم الجمعة: أيها الرعاء، إن لرعيّكم حقوقاً: الحكم بالعدل، والقسم بالسوية، وما من حسنة أحب إلى الله من حكم إمام عادل^(٢).

وعن العلاء بن عمار أن علياً عليه السلام خطب الناس فقال: أيها الناس.. والذي لا إله إلا هو ما رزأت من مالكم قليلاً ولا كثيراً إلا هذه - وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب - فقال: أهداها إلي الدهقان^(٣) ثم أتى بيت المال فقال: خذوا، ثم أنشأ يقول^(٤):

أفلح من كانت له قوصرة^(٥) . . يأكل منها كل يوم مرة

وعن عبد الله بن زبير - رحمه الله - قال: دخلت على علي عليه السلام يوم الأضحى،

(١) «صلاح الأمة» د/ سيد حين (٦/ ٧٠: ٦٧).

(٢) ابن عبد البر في «التمهيد» (٢/ ٢٨٤).

(٣) الدهقان: زعيم فلاحى العجم.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية»، وابن كثير في «البداية» (٨/ ٣).

(٥) القوصرة: وعاء التمر.

فقرب إلينا خزيرة^(١)، فقلنا: أصلحك الله، لو أطعمتنا من هذا البط، فإن الله قد أكثر الخير، فقال: يا ابن زير، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان: قصعة يأكلها هو وأهله، وقصعة يطعمها بين الناس»^(٢).

هكذا النقي الورع مع العدل، وما أروع علي وهو يتورع عن الأخذ من مال الأمة شيئاً زهيداً، قال عنترة بن عبد الرحمن الشيباني: دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق، وعليه قطيفة، وهو يرعد من البرد، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله قد جعل لك، ولأهل بيتك نصيباً في هذا المال، وأنت ترعد من البرد؟! فقال: إني والله لا أرزأ من مالكم شيئاً، وهذه القطيفة هي التي خرجت بها من بيتي، أو قال من المدينة^(٣).

ومن عدا الله: ما رواه علي بن ربيعة الوالي، قال: إن علي بن أبي طالب قد جاءه ابن النباغ، فقال: يا أمير المؤمنين، امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء، وبيضاء - ذهب وفضة - فقال: الله أكبر!! فقام متوكئاً على ابن النباغ حتى قام على بيت مال المسلمين، فقال: هذا جناي وخياره فيه، وكل جان يده إلى فيه. يا ابن النباغ، علي بأشياء الكوفة، قال: فنودي في الناس فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين، وهو يقول: يا صفراء، ويا بيضاء، غري غري، ها، ها، وها.

حتى ما بقي منه دينار ولا درهم ثم أمره بنضحه، وصلى فيه ركعتين^(٤).

وعن علي بن الأرقم، عن أبيه قال: رأيت علياً، وهو يبيع سيفاً له في السوق، ويقول: من يشتري مني هذا السيف، فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به عن وجه رسول الله ﷺ ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته^(٥).

(١) الخزيرة: قيل الحساء من سمن ودقيق، نوع من الطعام

(٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٧٨/١).

(٣) صحيح: أخرجه ابن الجوزي في «صفة الصفوة».

(٤) حسن: أخرجه أبو نعيم في «الحلية».

(٥) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨٣/١).

وكان عليه السلام يمشي في أسواق الكوفة وهو خليفة المسلمين، فيرشد الضال ويعين الضعيف.

ويلتقي بالشيخ المسن الكهل، فيحمل عنه حاجته، ولا يسكن قصر الإمارة ويقول: قصر الخبال هذا، لا أسكنه أبداً، وحين نتكلم عن أمير المؤمنين عليه السلام فإننا نورخ للعظمة الإنسانية والعدل في نموذج الباهر، هو الذي علم الأمة، فقال أهل القبلة: والله دره حين يقول لعسكره: لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقربوا النساء بأذى وإن شتمنكم وشتمن أمراءكم وصلحاءكم، واذكروا الله كثيراً لعلمكم تفلحون، لله در أبي الأسود الدؤلي حيث يقول في علي عليه السلام:

يقيم الحق لا يرتاب فيه . . . ويعدل في العدى والأقربينا
ونفساً لم تذوق طعم الدنيا . . . ولا لذت من الدنيا طعاماً
غذاها الدين مذ كانت فشبت . . . على التقوى رضاعاً وانفطاماً
ونشأها على كرم وأيد . . . وصاغ من الجلال لها قواماً.
ذكت فسمت عن الدنيا طلاباً . . . وأضنى حبها قوماً وتاماً.
طوى عنها على الضراء كشحاً . . . وعاف نصارها تبراً وساماً
وأكبرهمه مذ كان طفلاً . . . حدود الله يحرص أن تُقاماً
يذل لعزها نفساً ويرضى . . . لدفع الضيم عنها أن يُضاماً
إذا ما رنَّ صوت الحق منه . . . تولى الإفك وانحطم انحطاماً
ولما طعن عليه السلام وهو يتهيأ للصلاة، بعد أن مر بشوارع الكوفة يوقظ أهلها للصلاة

(١٥٨) الخطيب المبرور في فضائل الصحابة ————— علي بن أبي طالب عليه السلام

الفجر، قال لبنيه بعد أن علم قاتله: أحسنوا نزله، وأكرموا مثواه، فإن أعش، فأنا أولى بدمه قصاصاً أو عفواً، وإن أمت، فألحقوه بي، أخاصمه عند رب العالمين، ولا تقتلوا بي سواء، إن الله لا يحب المعتدين^(١).

قلت ما سمعتم وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين والعاقبة للمتقين السائرين على منهاج سيد المرسلين الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحابه أجمعين.

أما بعد:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أقضانا علي بن أبي طالب.

وعن ابن مسعود، قال: كنّا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب.

وعن علي رضي الله عنه، قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً، فقلت: يا رسول الله، ترسلني وأنا حديث السن، ولا علم لي بالقضاء؟ فقال: «إن الله سيهدي قلبك، ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضي حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء» قال: فما زلت قاضياً، أو ما شككت في قضاء بعد^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع عمر يقول لعلي رضي الله عنه - وقد سأله عن شيء فأجابه -: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا حسن^(٣).

(١) نقلًا من «ترطيب الأفواه» د/ سيد حسين (١/١٤٨: ١٥١) بتصرف.

(٢) أخرجه أحمد، وأبو داود، والحاكم في «المستدرک» وقال: صحيح الإسناد.

(٣) «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣/١٦٦) للمحب الطبري.

وأخرج أحمد في المناقب، عن علي عليه السلام أن رسول الله ﷺ بعثه إلى اليمن، فوجد أربعة وقعوا في حفرة حفرت ليصطاد فيها الأسد، سقط أولاً رجل تعلق بآخر، وتعلق الآخر بآخر، فجرحهم الأسد. وماتوا من جراحته، فتنازع أولياؤهم حتى كادوا يقتتلون، فقال علي: أنا أقضي بينكم، فإن رضيتم فهو القضاء، وإلا حجزت بعضكم عن بعض حتى تأتوا رسول الله ﷺ ليقضي بينكم. اجتمعوا من القبائل الذين حفروا البئر ربع الدية؛ وثلاثها ونصفها ودية كاملة، فلأول ربع الدية، لأنه أهلك مَنْ فوقه، وللذي يليه ثلثها؛ لأنه أهلك مَنْ فوقه، وللثالث النصف؛ لأنه أهلك مَنْ فوقه، وللرابع الدية كاملة. فأبوا أن يرضوا، فأتوا رسول الله ﷺ، فلقوه عند مقام إبراهيم فقصوا عليه القصة، فقال: أنا أقضي بينكم واحتبى بردة، فقال رجل من القوم: إن عليا قضى بيننا. فلما قصوا عليه القصة، أجازته^(١).

وأما الحديث عن جود علي وكرمه عليه السلام، فعن أبي جعفر، قال: ما مات علي بن أبي طالب عليه السلام حتى بلغت غلته مائة ألف، ولقد مات يوم مات وعليه سبعون ألفاً ديناً. فقلت: من أين كان عليه هذا الدين. قال: كان تأتيه حامته من أصهاره ومعارفه، ممن لا يرى لهم في الفيء نصيباً، فيعطيهم، فلما قام الحسن بن علي باع وأخذ من حواشي ماله حتى قضى عنه ثم كان يُعْتَق عنه في كل عام خمسين نسمة حتى هلك، ثم كان الحسين يُعْتَق عنه خمسين نسمة حتى قتل، ثم لم يفعله أحد بعدها^(٢).

حبب الفقر إليه . . . سُؤدَدَ وهو بذاك الفقر يَغْنِي
وشريفُ القوم من بقى لهم . . . شرف الذكر وخلي المال يَغْنِي
ما اطمأن الوفير في بَخْبُوحَةٍ . . . فرأيت المجد فيها مُطْمَئِنّاً
تُهْدَمُ الأموال من أساسها . . . أبداً ما دامت العلياء تُبْنَى

(١) «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣/ ١٦٩) للمحب الطبري.

(٢) «مكارم الأخلاق» (ص ١٠٦).

أما شكره لله فقد كان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا خرج من الخلاء مسح بطنه بيده، وقال: يا لها من نعمة لو يعلم العباد شكرها^(١).

وعن علي عليه السلام أنه قال لرجل من أهل همدان: إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله عز وجل حتى ينقطع الشكر من العبد^(٢).

أما تواضعه عليه السلام فعن عمرو بن قيس: أن عليًا عليه السلام رئي عليه إزار مرقوع، فعوتب في لبوسه، فقال: يقتدى به المؤمن، ويخشع له القلب^(٣).

أما أدبه عليه السلام، فعن صهيب مولى العباس، قال: رأيت عليًا يقبل يد العباس ورجله، ويقول: يا عم ارض عني^(٤).

وأما زهد علي بن أبي طالب عليه السلام فقد كان يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب - أي ما غلظ -.

هذا الذي كان يقف وقد أرخى الليل سجوفه وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته، يتململ تلمل السليم، ويبكي بكاء الحزين، وهو يقول: يا دنيا أبي تعرضت؟! أم بي تشوقت؟!، هيهات غربي غيري، قد أبتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير، آه من قلة الزاد، وبعد السفر ووحشة الطريق.

عباد الله: وها هي باقة عطرة من كلماته التي ينبغي أن تنقش بالذهب على صفحات القلوب.

قال علي عليه السلام الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعاع أتباع

(١) «عدة الصابرين» (ص ١٢٢).

(٢) «الشكر» لابن أبي الدنيا

(٣) إسناده صحيح: أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة»، وابن سعد في «الطبقات».

(٤) قال الذهبي في «السير» (٩٤ / ٢) إسناده حسن.

كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق.
العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل،
والمال تنقصه النفقة ومحبة العالم دين يدان بها.

العلم يكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحداث بعد موته وضيعة المال
تزول بزواله، مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر،
أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.

وقال عليه السلام: احفظوا عني خمساً لو ركبتم الإبل في طلبهن ما أصبتموهن
ولأنضبتن الإبل قبل أن تدركوهن:

لا يَرْجُونَ عَبْدٌ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَخْفَ إِلَّا ذَنْبَهُ، وَلَا يَسْتَحْيَ جَاهِلٌ أَنْ يَسْأَلَ عَمَّا لَا
يَعْلَمُ، وَلَا يَسْتَحْيَ عَالِمٌ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُ أَعْلَمُ. والصبر من الإيمان
بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له.

وقال عليه السلام: إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل: فأما اتباع الهوى
فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسى الآخرة، ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مُدْبِرَةً،
ألا وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل واحدة منها بنون، فكونوا من أبناء
الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا
عمل^(١). اللهم ألحقنا بالصالحين، واجعلنا من ورثة جنة النعيم، وارض اللهم
عن الخلفاء الراشدين المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الصحابة
والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم من ولي أمر المسلمين فيسر لهم
فيسر أمره وأصلح شأنه، ومن ولي أمر المسلمين وشق عليهم فاشق عليه ولا تجعل
له في أرضك تمكيناً. اللهم انصر الإسلام وأهله واخذل الشرك وأهله، اللهم عليك
باليهود الغاصبين وسائر المشركين والمنافقين، اللهم جدد الدماء في عروقهم اللهم
خذهم أخذ عزيز مقتدر يا سميع الدعاء، وقوموا إلى صلاتكم.

(١) «صفوة الصفوة» (١/ ١٣٠).

علي بن أبي طالب عليه السلام



إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله في الخطبة الرابعة عن الخليفة الراشد علي ابن أبي طالب عليه السلام وما زال حديثنا عن شيء من أقواله النيرة ومواعظه البليغة، قال عليه السلام: كونوا بنابيع العلم، معادن الحكمة، مصابيح الليل، خلقان الثياب، جدد القلوب، تُعرفون في أهل السماء، وتُخفون في أهل الأرض، وتُذكرُونَ عند ربكم.

ألا إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من عذاب الله، ولا يرخّص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، ولا خير في عباده لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها.

الخطيب المنير في فضائل الصلاة ————— علي بن أبي طالب عليه السلام (١٦٣)

ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله.

ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنوباً فهو يتدارك ذلك بتوبة. ورجل يسارع في الخيرات ويعمل في الدرجات.

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، أن علياً عليه السلام شيع جنازة، فلما وضعت في لحدها عج أهلها وبكوها، فقال: ما تبكون؟ أما والله لو عاينوا ما عاين ميتهم لأذهلتهم معائنتهم عن ميتهم، وإن له فيهم لعودة - يعني ملك الموت - حتى لا يبقى منهم أحداً. ثم قام، فقال: أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقت لكم الآجال، وجعل لكم أسماعا تعي ما عناها، وأبصاراً لتجلوا عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها، إن الله لم يخلقكم عبثاً ولم يضرب عنكم الذكر صفحاً، بل أكرمكم بالنعم السوابغ وارصد لكم الجزاء، فاتقوا الله عباد الله وجدوا في الطلب. وبادروا بالعمل قبل هادم اللذات، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسناد مائل، اتعظوا عباد الله بالعبر، وازدجروا بالنذر، وانتفعوا بالمواعظ، فكأن قد علقنكم مخالب المنية، وضمتم بيت التراب، ودهمتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور، وسياق المحشر، وموقف الحساب، بإحاطة قدرة الجبار، كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها، ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالسَّاعَةِ وَالشَّهَادَةُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩] فارتجت لذلك اليوم البلاد، ونادى المنادي، وحشرت الوحوش، وبدت الأسرار، وارتجت الأفئدة، وبرزت الجحيم قد تأجج جحيمها وغلا جحيمها.

عباد الله: اتقوا الله تقيّة من وجل وحذر وأبصر وازدجر فاحتث طلباً ونجاً هرباً، وقدم للمعاد واستظهر بالزاد، وكفى بالله منتقماً ونصيراً وكفى بالكتاب

(١٦٤) الخطيب المبرور في فضائل الصحابة — علي بن أبي طالب عليه السلام

خصماً وحجيجاً، وكفى بالجنة ثواباً، وكفى بالنار وبالآ وعقاباً، واستغفر الله لي ولكم^(١).

ولقد كان علي عليه السلام حريصاً على نعمة الاتباع لنبهه محمداً ﷺ فمن ذلك ما أخرجه البخاري عن مروان بن الحكم، قال: شهدت علياً وعثمان بين مكة والمدينة، وعثمان ينهى عن المتعة، وأن يجمع بينهما، فلما رأى ذلك علي أهل بهما جميعاً، فقال: لبيك بحجة وعمرة معاً، فقال عثمان: تراني أنهى الناس عن شيء وأنت تفعله؟

فقال: ما كنت لأدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس.

وأخرج البيهقي بسند عن علي عليه السلام، قال: «لو كان الدين بالرأي لكان باطن الخفين أحق بالمسح من ظاهرهما، ولكن رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهرهما».

وهكذا يكون الاتباع للحبيب ﷺ الذي قال الله في حق من حاد عن هديه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

بل قد حث الله الأمة كلها على اتباع الحبيب ﷺ فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. وكيف لا نتبع الحبيب ﷺ وهو الذي وصفه الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

عباد الله: وأما أخبار علي عليه السلام مع الدعوة إلى الله وتوفيق الله له، فعن البراء أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد عليه السلام إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام. قال البراء: كنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأتمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، ثم إن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب عليه السلام وأمره أني يقفل

(١) «صفة الصفوة» (١/ ١٣٢ - ١٣٣).

خالدًا، إلا رجلًا كان ممن مع خالد، فمن أحب أن يعقب مع علي، فليعقب معه، قال البراء: فكنت فيمن عقب مع علي، فلما دنونا من القوم، خرجوا إلينا، ثم تقدم فصلى بنا علي، ثم صفنا صفًا واحدًا ثم تقدم بين أيدينا، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان جميعًا، فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم. فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجدًا ثم رفع رأسه، فقال: «السلام على همدان السلام على همدان!»^(١).

أما قتال علي عليه السلام للخوارج، فعن أبي سعيد الخدري عليه السلام قال: كنا جلوسًا ننتظر رسول الله ﷺ فخرج علينا من بعض بيوت نسائه. قال: فقمنا معه، فانقطعت نعله، فتخلف عليها علي يخصفها. فمضى رسول الله ﷺ ومضينا معه، ثم قام ينتظره وقمنا معه، فقال: «إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن، كما قاتلت على تنزيله» فاستشرفنا، وفيما أبو بكر وعمر، فقال: «لا، ولكنه خاصيف النعل» قال: فجئنا بنشره، قال: وكأنه قد سمعه^(٢).

وهو الذي قاتل الخوارج وقتلوه، وهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «طوبى لمن قتلهم وقتلوه»^(٣).

وقال ﷺ: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود» صحيح وقد ورد في الصحيح أيضًا: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد».

وقال ﷺ: «الخوارج كلاب النار»^(٤).

وقال ﷺ: «إن في قتلهم أجرًا عظيمًا عند الله لمن قتلهم»^(٥).

(١) أخرجه البيهقي، ورواه البخاري مختصرًا - كذا في «البداية» (١٠٥/٥).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٨٢/٣) وإسناده حسن.

(٣) إسناده حسن: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» عن عبد الله بن أبي أوفى، وأخرجه أحمد.

(٤) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع».

(٥) صحيح: أخرجه ابن ماجه، وأحمد، والترمذي عن ابن مسعود.

ولما خرجت الخوارج على علي عليه السلام وكانوا ثمانية آلاف من قراء الناس، ونزل بحروراء فناظرهم علي، فرجع منهم أربعة آلاف فيهم عبد الله بن الكواء، فبعث علي إلى الآخرين أن يرجعوا فأبوا، فأرسل إليهم، كونوا حيث شئتم، وبيننا وبينكم أن لا تسفكوا دمًا حرامًا، ولا تقطعوا سبيلًا ولا تظلموا أحدًا، فإن فعلتم نبذتم إليكم الحرب.

قال عبد الله بن شداد: فوالله ما قتلهم حتى قطعوا السبيل، وسفكوا الدم الحرام، وذلك بقتلهم عبد الله بن خباب بن الأرت، وبقرؤا بطن سريره^(١).

قلت ما سمعتم وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين والعاقبة للمتقين، والمذلة والخسران لأعداء الدين من المشركين والكافرين والمنافقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحابه أجمعين.

أما بعد:

عباد الله: ما زال حديثنا عن قتال علي بن أبي طالب عليه السلام للخوارج، فعن سلمة بن كهيل، قال: حدثني زيد بن وهب الجهني أنه كان في الجيش الذي كانوا مع علي عليه السلام الذين ساروا إلى الخوارج فقال علي عليه السلام: أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم من أمتي يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية» لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان

(١) نقلًا من «صلاح الأمة» د/ سيد حسين (٩٢/٥).

الْحَبَشِيُّ بْنُ زَيْدٍ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ————— علي بن أبي طالب عليه السلام (١٦٧)

نبههم عليه السلام ولا تكلّوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد، وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض.

فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذرائعكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس فسيروا على اسم الله.

قال سلمة بن كهيل: فترزني زيد بن وهب منزلاً حتى قال: مررنا على قنطرة، فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي فقال لهم: ألقوا الرماح وسلّوا سيوفكم من جفونها فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلّوا السيوف وشجرهم الناس برماحهم قال: وقتل بعضهم على بعض، وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان فقال لهم علي عليه السلام: التمسوا فيهم المخدج الرجل الذي وصفه لهم النبي صلى الله عليه وآله فالتمسوه فلم يجدوه، فقام علي عليه السلام بنفسه حتى أتى ناساً قد قتل بعضهم على بعض، قال: أخروهم فوجدوه مما يلي الأرض فكبر ثم قال صدق الله وبلغ رسوله قال: فقام إليه عبيدة السامي فقال يا أيمر المؤمنين! الله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو حتى استحلفه ثلاثاً وهو يحلف^(١).

وأما عن وقت رحيل علي بن أبي طالب عليه السلام فعن أبي مجلز، قال: جاء رجل من مراد إلى علي وهو يصلي في المسجد، فقال: احترس فإن ناساً من مراد يريدون قتلك، فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يُقدَّر عليه، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، وإن الأجل جنة حصينة^(٢).

أمّا عن قصة قتله عليه السلام فلقد اجتمع ثلاثة نفر من الخوارج وهم: عبد الرحمن بن ملجم، والبرك بن عبد الله، وعمرو بن بكر التميمي فتذكروا أمر الناس وعابوا

(١) أخرجه مسلم (ص ٧٤٨).

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ١٣٤ - ١٣٥).

ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئاً، إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شربنا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد وثأرنا بهم لإخواننا، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب، وقال البراء: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص، تعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل مناعق صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه فأخذوا سيوفهم فسموها - وضعوا عليها السم - واستعدوا لخمس عشرة تخلو من رمضان سنة (٤٠هـ) أن يشب كل على صاحبه الذي توجه إليه، وأقبل كل رجل منهم على المصر - المكان - الذي فيه صاحبه.

فأما ابن ملجم وكان عداده في كنده، فخرج حتى أتى الكوفة، ولم يخبر من بها من إخوانه شيئاً كراهة أن يظهر، وكان بالكوفة من يتم الرباب عشرة وفيهم امرأة يقال لها (قطام ابنة الشجنة) قتل علي أباه وأخاه يوم النهر، وكانت فائقة الجمال، فلما رآها أذهلته عما جاء له، فخطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تشفي لي. قال: وما يشفيك؟ قالت: ثلاثة آلاف، وعبد، وقينة جارية مغنية وقتل علي بن أبي طالب، قال: هو لك مهر، أما علي فلم أرك ذكرته لي وأنت تريدينني. قالت: بل ألتبس غرته فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي وتهدأ بالعيش معي وإن قتلت فما عند الله خيراً وأبقى من الدنيا وزينتها وزينة أهلها، فقال لها: والله ما جئت هذا المصر إلا لذلك ثم اختارت له مساعداً من قومها واختار هو مساعداً آخر، ولما كانت ليلة الجمعة ١٥ رمضان سنة (٤٠هـ) ترصدوا له حتى خرج يريد صلاة الصبح، فضربه ابن ملجم في قرنه بنسيف وهو ينادي: الحكم لله لا لك ولا لأصحابك، ففرع الذين كانوا بالمسجد للصلاة^(١).

ولقي الإمام ربه - أخيراً - مصاباً بضربة سيف مسموم.. كما لقيه من قبل عمر الفاروق مصاباً بضربة خنجر محموم! وحمل إلى داره ~~هينئذ~~ وأرضاه.

(١) نقلاً من «الخلفاء الراشدين» للشيخ/ حسن أيوب (٣١٩ - ٣٢٠) بتصرف.

الحسن بن علي في فضائل الصلاة ————— علي بن أبي طالب عليه السلام (١٦٩)

وإذ هو في لحظات الكارثة هذه، يأمر حامليه والحافين حوله أن يذهبوا إلى المسجد، ليدركوا صلاة الفجر قبل أن تؤذن بفوات، هذه الصلاة التي كان يتبها لها حين حال الاغتبال الأثيم بينه وبين بلوغها أو إتمامها، وحين يفرغون من صلاتهم، ويعودون إليه، كما يعود في نفس الوقت بعض الرجال ممسكين بالقاتل - عبد الرحمن بن ملجم - يفتح الإمام عينيه فتقعان عليه فيهب رأسه في أسي حين يعرفه ويقول:

- أهو أنت...؟ لطالما أحسنت إليك...!!

ويلقي البطل العظيم على وجوه بنيته وأصحابه نظرة، فيراها تتفجر غيظاً، وتضطرم نعمة، ويحس برد الموت يسري في أوصاله، ويكاد يرى المصير الذي سيحقيق بـ ابن ملجم. يكاد يرى الانتقام المروّع الذي سيثار به أولاده، وأصحابه، فيتقدم هو في إصرار ليحمي قاتله من أية مجاوزة أو تخط لحدود القصاص المشروع.

وهكذا ناداهم إليه، وخرجت الكلمات من فمه مبحوحة متقطعة لترسم في العظمة الإنسانية التي أفاءها القرآن على عليّ لوحة باهرة.

قال لبنيه وأهله: أحسنوا نزل.. وأكرموا مشواه. فإن أعش، فأنا أولى بدمه قصاصاً أو عفواً، وإن أمت، فألحقوه بي، أخاصمه عند رب العالمين، ولا تقتلوا بي سواه. إن الله لا يحب المعتدين^(١).

قال العلماء بالسير: ضربه عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من رمضان. وقيل: ليلة إحدى وعشرين منه. سنة أربعين، فبقي الجمعة والنسب، ومات ليلة الأحد، وغسله ابنه وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن، ودفن في السّحر^(٢).

وقال الحسن بن عليّ عليه السلام: يا أيها الناس، لقد فارقكم أمس رجل ما سبقه

(١) «خلفاء الرسول» خالد محمد خالد (٥٩٨ - ٥٩٩) بتصرف.

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ١٣٥).

(١٧٠) الخط المنير في فضائل الصحابة ————— علي بن أبي طالب عليه السلام

الأولون ولا يدركه الآخرون، لقد كان رسول الله ﷺ يبعثه البعث، فيعطيه الراية، فما يرجع حتى يفتح الله عليه، جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره - يعني عليًا - عليه السلام ما ترك بيضاء ولا صفراء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يشتري بها خادماً^(١).

وهكذا آب المسافر إلى وطنه، وعاد إلى منزله...!!

ورحل: ابن أبي طالب عن الدنيا، لكن حياته والأيام التي عاشها على الأرض تحولت إلى شمس أخذت مكانها العالي في حياة البشرية وتاريخها، وراحت تجذب إلى مدارها قيم الحق، والبطولة، والإيمان، والخير، والشرف. وهكذا رحل الإمام وما رحل: وهو الراحل المقيم.

لقد فتح لذكره، ولذكراه أبواب الخلود حينما ترك لذوي الدنيا دنياهم، واختار الله ورسوله والدار الآخرة، ولقد احتوشته العواصف، والأعاصير، لكي تزيغه في ظلامها عن الطريق، أو تفقده بعض رشده، أو تشغله عن غاياته ومبادئه، فما زاغ عن الطريق^(٢).

فرضي الله عن علي وسائر الصحابة أجمعين.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشدي عَزَّ فِيهِ أَهْلُ الطَّاعَةِ، وَيُذَلِّ فِيهِ أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ، وَيُؤْمَرُ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ، وَيُنْهَى فِيهِ عَنِ الْمُنْكَرِ يَا جَوَادَ يَا كَرِيمَ، اللَّهُمَّ انصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ وَاخْذِلِ الشُّرْكَ وَأَهْلَهُ اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَلَا تَجْعَلْ لَهُ تَمْكِينًا، وَمَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَيَسِّرْ لَهُمْ فَأَصْلِحْ شَأْنَهُ وَزِدْهُ تَوْفِيقًا وَهُدَايَةً وَصَلَاحًا وَقَوْمُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ.



(١) أخرجه ابن حبان، وأحمد، والبخاري، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٤٩٦).

(٢) «خلفاء الرسول» (ص ٦٠١) باختصار يسير، فرضي الله عن علي وسائر الصحابة أجمعين.